8me Année No. 365

Lundi - 1 - 7 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق أول يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

١٥٠١

العلم أو الأدب ؟ !

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءني من الأديب « عبد القادر دوير » خطاب يسألني فيه أسئلة متعددة عن رأيي في خسارة العالم بفقد أديسون وماركوني، وخسارته بفقد شكسبير وبرنارد شو

وعن رأيي فيما هو الأسبق : « العلم أو الأدب ؟ ! » . وهل خلق الإنسان بطبيعته عالماً يتجه فكره إلى تهيئة أسباب معيشته، أو خلق بطبيعته أديباً يميل إلى الشعر والفنون ؟

ثم يسألني : « ما رأيكم في كلمة الأستاذ أحمد الصاوى المنشورة في الأهرام يوم ١٧ يونيو التي يناشد الشباب المصرى فيها أن يهجر الأدب والشعر وينصرف إلى العلم والاختراع ليكون رجلاً عملياً عاملاً . وختمها بقوله : «أسكتى إذن يا آلهة الشعر لقد ذهب أوانك وتلاشى سلطانك ، وأخرجى أيتها الأرض شباباً واقعياً قوياً يفل الحديد بالحديد والنار بالنار لا بالقصائد والأشعار »

وقد قال الأديب : « أرجو — إذا تكرمتم بالرد — أن ينشر بحثكم على صفحات مجلة « الرسالة » الحبيبة إلى قلوبنا كل الحب »

***

وقد رجعت إلى أعداد « الأهرام » منذ السابع عشر من شهر يونيو ، فقرأت فيها حوار الأستاذين الصاوى والحكيم عن

الشعر والسلاح ، وتتبعت ذلك الحوار إلى أن بلغت به : « مربط حمار الحكيم » و « فيران السفينة » ؛ وانتهيت منه وأنا أقول : « الحق على أساتذة الإنشاء منذ نيف وأربعين سنة فى الديار المصرية ... فلولا موضوعات المقابلة بين الصيف والشتاء ، وبين الذهب والحديد ، وبين العلم والمال ، وبين العلم والأدب ، لما وقع فى الأذهان ذلك الخاطر الذى نعود إليه فى مصر فترة بعد فترة لنقضى للعلوم على الفنون ، أو للفنون على العلوم ، أو لنوحى بهذه دون تلك فى تثقيف الأمة وتعليم الشباب

فما معنى هذه المقابلة ؟

هل النفس الإنسانية صهريج من المدن نزيد فيه من العلم بمقدار ما ينقص من الأدب ؟ هل العلم والأدب ضرتان تلقى إحداها من الحظوة والزلفى بمقدار ما تلقى صاحبتها من الهجر والإعراض ؟ هل الجمع بين العلم والأدب فى الأمة الواحدة مستعصٍ أو مستحيل ؟

فإن لم يكن شيء من ذلك كما يحسبه الحاسبون ، فما معنى هذه المقابلات ، وماذا نجنى من الإزراء بالعلوم محاباة للآداب والفنون ، أو من الإزراء بالآداب والفنون محاباة للعلوم

ماذا نجنى من هذا وذاك ونحن فقراء فى هذا وذاك ؟

وماذا أصبنا من الفن والأدب حتى يقال إننا قد شغلنا به عن العلم والاختراع ؟ بل ماذا عندنا مما اخترعه الآخرون حتى نبحث فى اختراع الجديد ، ونزعم أننا لولا الفن والأدب لاخترعنا نحن أيضاً مع المخترعين ؟

أما إذا أغضينا عن أنفسنا ونظرنا إلى أحوال غيرنا ، بل إلى الأحوال التى دعت إلى كتابة ما كتب فى تفضيل السلاح على الشعر ، أو تفضيل القوة على الذوق ، فماذا نحن واجدون ؟

نجد أمة غلبت بالدبابات والطيارات وهى لم تخترع الدبابات والطيارات ، ونجد أمة لها مهندسون غلبت أمة لها كذلك مهندسون لعلهم أفضل من أولئك المهندسين ؟

فالمسألة ليست مسألة اختراع الدبابة والطيارة ، ولا هى مسألة الهندسة والصناعة ، ولكنها مسألة « الباعث النفسى » الذى يكمن وراء علم العلماء واختراع المخترعين وهندسة المهندسين

وهذا « الباعث النفسى » هو الحقد الذى تأجج فى صدور الألمان فجعلهم يطلبون من الدبابة مالم يطلبه منها أصحابها الأولون

فإن كان رأى الأستاذ « أحمد الصاوى » أن يملأ النفوس بالحقد لأنه صنع من الدبابة مالم يصنعه منها الاطمئنان والرضى فله رأيه الذى يرتضيه بمعزل عن الشعر والفن ، أو بمعزل عن المفاضلة بين المهندسين والشعراء

أما إن كان يريد بما كتب شيئاً غير هذا فليس فى المقدمات ما يبنى عليه نتيجة غير تلك النتيجة . وليس فى انتصار مقاتل على مقاتل من جديد يمحو ما كتبته الإنسانية إلى الآن ، ويخط فى مكانه سطوراً أخرى لم يكتبها التاريخ

قال الأستاذ أحمد الصاوى : « ... المهندس هو الذى جلس أمام لوحه الخشبى ورسم على الورق أقصى ما يخطر بالبال من خيال الأهوال : تصور الموت نفسه أمامه وتحداه بالحديد والنار ، فرسم الطيارة ورسم الدبابة ورسم الغواصة ، ثم عاد فرسم لكل آلة من هذه عناصر دمار جديدة . فلم يكتف بنوع واحد من الطيارات والدبابات »

« ... هذه هى رسالة المهندس والكيميائى يعملان جنباً إلى جنب . هذا هو الحاضر ، وهذا هو المستقبل . فإلى الشباب المصرى الذى يريد الأدب ويتعلق بالقصص ويحب الشعر نقول : استيقظ . لقد دقت ساعة الحقائق ، فانصرف إلى العلم بكل قواك ... »

فهل الهندسة هى التى صنعت هذا الصنيع ؟

لو كانت الهندسة هى التى صنعته لكان أولى المهندسين به هم أصحاب الاختراع من الإنجليز والفرنسيين ، هم الذين اخترعوا الدبابة وشغلوا بتحسين الطيارة فى الوقت الذى أقبل فيه الألمان على المناطيد من أيام زبلين وخلفاء زبلين

فعند الإنجليز والفرنسيين مهندسون كالمهندسين الذين عند الألمان ، بل هم المهندسون السابقون المتفوقون فى هذا الميدان

ولكن « البواعث النفسية » هى التى جلست وراء المهندس فأوحت إلى الهندسة فى أمة حاقدة مالم توحه إلى الهندسة فى أمة مطمئنة راضية

والبواعث النفسية هى كل شيء

هى الحياة . وكل ما عدا ذلك فهو أدوات وآلات .

***

والآن وقد ظهرت الدبابات الفخام هل يستطيع قائل أن يقول :

إن قلة الهندسة عند الفرنسيين والإنجليز هي التي أقلت نصيبهم من تلك الدبابات الفخام ؟ أو هي التي تمنعهم أن يخترعوا مثلها ، أو يخترعوا لها آفة تقضي عليها وتفلها على نحو ما يقولون : إن الحديد يفله الحديد ؟

كلا !

ليست قلة الهندسة هي العلة . . . فالهندسة هنا كثير

وإنما العلة «فرصة الوقت» إذا اتسعت أو ضاقت للمخترعين.

ولن تكون الهندسة هي الباعث على اغتنام الفرصة المنشودة ، وإنما هي البواعث النفسية التي أسلفنا الإشارة إليها ، وهي في الحرب والسلم أمضى سلاح

وهل يعلم الأستاذ الصاوي كم من الملايين الثلاثة أو الملايين الأربعة الذين زحفوا على فرنسا من الشباب الألمان يدرسون العلم ويقرأون الهندسة ؟ وكم منهم يقرأون القصص والروايات ؟

كلهم قراء روايات وقصص كما ظهر من إحصاء الكتب التي كانت ترسل إليهم في الميادين ، فإذا طلبوا مع الروايات والقصص كتباً أخرى فذلك هو كتاب هتلر الذي يفرضونه هناك على جميع الشبان ، وليس هو بهندسة ولا بعلم واختراع ، ولكنه شيء أقرب إلى الأحاجي والأساطير !

***

فالهندسة ليست مصدر القوة الألمانية

والأدب لم يكن مصدر ضعفهم يوم انهزموا في الحرب الماضية

لا شأن للهندسة والأدب هنا أو هناك ، بل الشأن كل الشأن للبواعث النفسية، ثم تكون هندسة القوم أو يكون أدب القوم على حسب تلك البواعث من الحركة أو السكون ومن الخير أو الشر ومن الصلاح أو الفساد

ويح الإنسان ... كم تروعه الضجة وكم تخلبه قعقعة السلاح !

وماذا لو طبقنا رأى الأستاذ الصاوي على العلم نفسه ولا نقول على الفن والأدب والقصة والرواية ؟

يوم أن هزمت فرنسا في حرب السبعين كان اسم بسمارك ومولتكه يدوى في كل زاوية من زوايا الأرض، ويجرى على كل لسان في المغرب والمشرق

وكان في زاوية من زوايا فرنسا رجل يدعى لويس باستور يكشف جرائيم الأوبئة وأسرار التعقيم ، ويعرض نفسه كل لحظة لهلاك لم يتعرض له بسمارك في العمر الطويل

فما رأى الأستاذ أحمد الصاوي في رجل غاضب مثله متحمس مثله ناصح لبني الإنسان مثله يدخل على الشيخ باستور فيقول :

قم أيها الشيخ الفارغ ولم قواريرك وأنابيبك ؟! الوقت وقت نار وحديد وليس بوقت ماء وزجاج !

وأين مع ذلك حرب السبعين كلها بما انطلق فيها من المدافع وانصهر فيها من الحديد إلى جانب تلك الأنبوبة التي لم يسمع بها ساكن الحجرة المجاورة في بيت باستور ؟

لكنها الضجة التي تروع الإنسان . ويح الإنسان ، ثم ويح الإنسان !

ولو سألنا له جزاءه الحق لسألنا له طوفاناً من الطغيان يغرقه إلى آخر الزمان ، ويشبعه ما استطاع الشبع من الحدائد والنيران ولكنه مخلوق غافل ، تشفع له نية مصلح أو نفحة فنان .

وقد نعلم رأى الصاويين جميعاً فيما يقولون الآن ، إذا نسيت الحرب القاعة ، وبقيت صرخة من صرخات النفس الإنسانية ، لعلها تنظم اليوم في قصيد أو تثبت في لوحة فنان أسوان

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الصداقة الروحية — الطلبة والجاموس ! — ابن الحير ! — معركة في غير ميدان — حمار الحكيم ! — الرفيق قبل الطريق — عشنا وشفنا فقد اكتوينا بنار الحوادث في حربين .

الصداقة الروحية

كانت قسوة الشواغل قضت بأن أحرَم أُنس الحديث مع قراء « الرسالة » نحو شهرين ، وهي شواغل متصلة بخدمة اللغة العربية في آفاق لا يسايرُنا فيها القراء لأنها متصلة بحياة التعليم ، وهي حياة لا يُنشر من أخبارها شيء إلا بعد أن يستوثق الباحث من أنه وصل فيها إلى آراء تستحق التسجيل بطريقة علمية ، وذلك لا يتيسر إلا بالجهاد العنيف في الأعوام الطوال ، كالذى تيسَّر في الأبحاث التعليمية التي نشرتها في الجزء الثالث من كتاب « ليلى المريضة في العراق » وفي كتاب « البدائع » وكتاب « وحي بغداد »

وأنا بهذا الكلام أعتذر عما قيل من أنني جَنَحتُ إلى الراحة في الأسابيع الماضية ، فما كان من ذلك شيء ، وإنما حرصتُ على تأدية واجباتي الرسمية تأدية ترفع عن صدري كرب النيظ من أن يكون في الزملاء مَن هو أحرص مني على تأدية الواجب ، فقد قلت مرة على صفحات « الرسالة » إن في وزارة المعارف رجالاً يجرى في خواطرهم أنهم ليسوا موظفين ، وإنما يدبِّرون ملكهم الخاص ، وأنا من هؤلاء مكروبٌ مَغيظ ، ومع ذلك أتمنى أن يُكثر الله من أمثالهم في الدولة المصرية . والفُرص أمامي لأسبقهم في ميادين الكفاح الصادق حين أشاء

انتهى العام الدراسي بخير ، ولم تبق إلا أعمال خفيفة لا تستنفد الوقت ، فما عسى أن أصنع ؟

هل أذهب لقضاء الصيف في باريس ؟

وكيف وقد انقطع بيني وبينها الطريق ؟

هل أمضي لقضاء الصيف في الإسكندرية ؟

وكيف وقد انفضَّت الملاعب حول الشواطئ ، وضاعت الفرصة على مواعظ الشيخ أبي الميمون ؟ وما أسخفَ الحياةَ التي تستقيم استقامة مُطْلقة فلا يثور عليها واعظ ، ولا يتطاول في تثريبها عاذل ، ولا يَشقَى في تعقُّبها رقيب !

هل أذهب لقضاء الصيف في سنتريس ؟

وكيف وهي تضيق عني ، وأخشى أن أكدر صفو أهلها بأحاديثي عن معضلات الحياة الدولية ؟ وهل تتسع الحياة في الريف لرجل يريد أن يشهد أعنف قَلقلة من قلقلات التاريخ ؟

لم يَبق إلا المقام في القاهرة فأقضي صدر النهار في الاستفادة من خِبرة من ألقاهم في وزارة المعارف ، ثم أقضي بقايا الوقت في تحبير الكلمات التي ألقى بها القراء من يوم إلى يوم ، أو من أسبوع إلى أسبوع ، في الجرائد والمجلات

والحقُّ أننا من الفِكْر في كرب ، فالحوادث التي نعانيها في هذه الأيام لا تكفي لتغذية مطامعنا الفكرية ، فنحن نفزع إلى الأدب لنملأ به فراغ الأرواح والقلوب والأذواق ، ومن هنا تفهمون كيف اتفق في أحيان كثيرة أن تقام الحفلات لذكريات الأدباء والمفكرين في ميادين القتال

لا سبيل إلى تخفيف مكاره هذه الأيام « البيض » إلا بالأنس إلى الصداقة الروحية ، الصداقة التي يعقدها الأدب بين الكاتب والقارئ ، وهي أثمن ذخائر الوجود

وفي ظلال هذا الأمل الجميل أقضي تجهير هذا الصيف ، فأحادث قرائي ، وقد رفع بيني وبينهم التكليف ، فقد ضقت ذرعاً بما في الدنيا من قيود ، واشتقت إلى تنسم هواء الحرية بين صرير القلم وزئير الروح

الطلبة والجاموس !

كنت نشرت مقالاً في المقطم موضوعه « التصوف في الوطنية » سردت فيه بعض الأسباب التي أحب من أجلها وطني ، ومن تلك الأسباب أن أرض مصر تصلح للزراعة أربع مرات في العام الواحد ، فكتب إليَّ حضرة « م . ع . ف » خطاباً يُنكر فيه أن تكون مصر كما وَصَفتُ ، ويؤكِّد أن أهل مصر لا يعرفون غير سوء الحال ، وأن في مصر آلافاً من الأعيان حُكِم عليهم بالسجن لعجزهم عن سداد المال (؟ !)

والظاهر من خطاب هذا السيد أنه يتعقب أعمال الحكومة ، فقد ذكر أشياء تشهد بأنه يُساير خطوات الحكومة فى جميع الميادين ، ويتناولها بالثناء والملام على حسب الظروف !

وأقول بصراحة إن الأمة التى تنتظر من الحكومة كل شيء وتطالبها بكل شيء هى أمة فى دَوْر الطفولة ، والطفل يعتقد أن أباه على كل شيء قدير ! وأقول أيضاً إنه ليس من المعقول أن يكون فى مصر آلاف من الأعيان حكم عليهم بالسجن للعجز عن سداد الضرائب . وإذا صح ذلك فهو شاهد على أن الأعيان فى مصر لا يصلحون لتدبير ما يملكون من الأموال والأطيان

وهذا السيد له منزلة فى الصعيد ، ولم أصرح باسمه إلا خوفاً عليه من النقد الذى سأسوقه إليه بلا ترفق . فهو يرى من الإسراف أن يكون فى الميزانية مال مرصود لجسر شبرا وجسر سمنود ، وهو ينكر أن يكون للأوبرا وحمام السباحة فى أسيوط نصيب من أموال الميزانية ، وهو فى النهاية يَعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين ألفاً من الجنيهات لتحسين نسل الجاموس مع أن فى طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس ؟

يا سلام ! يا سلام !

كيف يليق بحكومة رشيدة أن تفكر فى تحسين نسل الجاموس مع أنها تعرف أن بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟ !

ذلك منطق هذا السيد الذى يَشغل مكاناً مرموقاً فى الصعيد !

وعُذر هذا السيد أنه قرأ فى مجلة « آخر ساعة » كلمة جرت مجرى الدعابة ، فظنّ أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس ، وهو جاموس !

هو حقيقة جاموس يرعى البرسيم ويأكل الفول وينطح وينطلح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صميم الثروة المصرية ، والاهتمام به لا يقلّ خطراً عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطيخ

فكيف يجوز لرجل أن يعدّ الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيباً من عيوب الحكومة ، إلا أن يكون هذا الرجل من الصالحين للسجن بسبب العجز عن تسديد الضرائب ؟

المَقتَل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم أن تهتم بتحسين نسل الجاموس

ويقول هذا السيد إن اشتغالى بالأدب صرفنى عن مواجهة الواقع . وأقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلتُ لقرأ فى كتاب البيان والتبيين كلاماً معناه أن أحد العرب قال : لو كان لى ألف بعير فيها بعيرٌ واحد أجرب لقمتُ عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك أن الاهتمام بالبهائم والأنعام لا يغضّ من أقدار الرجال ، وإنما هو دليل على العناية بأصول الاقتصاد

أيها الغافلون من أهل هذه البلاد

راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما نستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون أنه ليس من العيب أن نهتم بتحسين نسل الجاموس

اللهم ارزقنى جاموسة أو جاموستين لأنسى مرارة الإفطار على الشاى الأسود فى كل صباح

وأنت أيها الجاموس

هل تحفظ هذا الجميل فتذكر أنى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء ؟ ....

لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق ، فهل تحفظه أنت يا جاموس ؟ !

وكيف نطالبك بحفظ الجميل ، وما حفظنا لك الجميل ؟

كانت فطرة العربى فى الصحراء ألطف وأصدق ، فقد نظم فى ناقته أعظم القصائد ، أما المصرى فقد ظلم جاموسته أقبح الظلم ولم يذكرها بغير السخرية والاستهزاء

فهل تكون للبداوة تلك المحاسن وتكون للحضارة هذه العيوب ؟

كان الفراعنة أعرفَ الناس بأصول المنافع فعدُّوا البقرة من المعبودات لأنهم رأوها من صُوَر الحنان ولأنهم عرفوا ما يصدُر عنها من الخيرات

والجاموسة أغزرُ نفعاً من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا أن يَسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا بأس فنحن فى زمن تغلِب فيه السخرية من المنافع ، وهو زمنٌ مقلوب الأوضاع ، ولولا ذلك لرُسِمت الجاموسة بجانب الفلاح على ورق « البنكنوت »

لبن الحمير !

ومن جناية النكتة على أهل مصر نُفورهم من شرب لبن الحمير ، مع أنه بشهادة الطب أطيب أنواع الألبان ، وهو فى أمان من الجراثيم التى يتعرض لها ابن البقر والجاموس

ومن المؤكد أن هذه الكلمة ستفوز بطوائف من النكت حين تظهر فى مجلة الرسالة ، كما ظفرت الكلمة التى نشرتُها عن فضائل الحمير فى كتاب « ذكريات باريس »

والمهمُّ عندى أن يعرف المصريون خيرات بلادهم ، وأن يذكروا أن الحمير كانت ولا تزال من أطايب الثروة المصرية ، وإليها يرجع الفضل فى خدمة الفلاح الذى يذرفون من أجله دموع التماسيح !

وقد ورد التنويه بالحمار المصرى فى كتاب الأغانى ، وهو أصبر من الحمار الحَسَاوى ، المنسوب إلى الحَسَا من بلاد البحرين ، وهذه فائدة قد يذكرها بعض من يحفظون الجميل

ولا مؤاخذة يا أرباب الذوق المصقول من أعداء الحيوان !

معركة فى غير ميدان

دهش الناس للمعركة الحامية التى ثارت فوق صفحات « الأهرام » بين الصديقين أحمد الصاوى وتوفيق الحكيم حول الفكر والحرب ، وقد وقعت فى تلك المعركة ألفاظ غلاظ لا يسوِّغها صديق إلى صديق

وخلاصة رأى الصاوى أن زمن الشِّعر قد ولّى وفات ولم تبق إلا دولة الطيارات والدبابات

ويقول الحكيم إن الأمم القوية من الوجهة الحربية هى الأمم القوية من الوجهة الفكرية

والرأيان يلتقيان بكل رفق ، فما الموجب للتراشق بالألفاظ الغلاظ ؟

وقد فصل الأستاذ سعد اللبان فى هذه القضية حين قال : أولئك قوم يتجادلون فى البديهيات !

ولعل الأستاذ توفيق الحكيم يعترف اليوم أنى هديته إلى أصل الفكرة حين حاورته فى جريدة الأهرام ، فقد كان يتوهم أن الفكر منفصل عن الحرب كل الانفصال

لعله يذكر أنى قلت وأنا أحاوره :

« إن الحرب الدموية ترجُّ الأذهان والعقول ، ولكنها فى الأصل من صنيع الأذهان والعقول . والعالم غير مُقْبِل على الخراب — كما نقول حين نقرأ أخبار الحرب — وإنما هو مُقْبِلٌ على يقظة روحية وعقلية واقتصادية سيعرف مَداها من يشهد تطوُّر الوجود فى المستقبل القريب ، وهو مستقبل نشهد تباشيره منذ اليوم برغم ما نعانى من الضجر والاكتئاب كلما طالعنا أخبار التدمير والتخريب فى الصُّبح والظُّهر والمساء

الإنسانية اليوم فى جومة هائلة من يقظة الفكر والرأى ، فليس القتال نزاعاً بين جنود وجنود ، وإنما هو صراع بين آراء وآراء ، كما كان فى العصور الخوالى نزاعاً بين دِين ودِين ، وما تغيرت المعانى وإن تغيرت الأشكال »

ذلك ما قلته فى الحادى والعشرين من شهر مايو ، وهو أصدق من آراء الصاوى والحكيم ، على ودهما القديم ألف تحية وألف سلام!

كنت أظنهما صديقين ، ثم عرفت — مع الأسف — أنهما من إخوان الزمان :

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

« حمار الحكيم »

وفى هجوم الصاوى على الحكيم وردت عبارات مقتبسة من كتاب « حمار الحكيم » ، وهى عبارات يقول فيها المؤلف : إن الوقت عنده ليس من ذهب ، وإنما هو من تراب . ويقول : إنه يخاف من العفاريت

وأقول : إن الصاوى لم يدرك ما فى هذه الكلمات من السخرية ، السخرية من المجتمع الذى ترى صوره فى بعض البيئات ، وهى سخرية رأينا صداها فى مقال نشره سعادة الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك فى مجلة الصاوى

وقد آن لبنى آدم من أهل هذه البلاد أن يفهموا أن المؤلف لا يُسأل عما يَرِد فى كلامه من العبارات التى يديرها حول نفسه ليتمكن من السخرية بالمجتمع ، فقد آذتنى جريدة لا أسميها فى بلد لا أسميه ، لأنى قلت فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » :

« أنا رجل لئيم ، ويجب أن أستفيد من فساد المجتمع »

فقد قالت تلك الجريدة: كيف يجوز لحكومة رشيدة أن تعتمد على هذا الرجل فى تثقيف الشبان ، وهو يعترف بأنه لئيم يستفيد من فساد المجتمع ؟

وإذا جاز لصديقنا الصاوى أن يؤول كلام صديقه الحكيم بلا فهم لغرضه الصحيح ، فقد جاز لى أن أصفح عن ذنوب الجاهلين ممن فاتهم سر التأليف يوم قرأوا كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

الرفيق قبل الطريق

تلك حكمة عربية أوحتها ظروف الحياة البدوية ، فقد كانت المسالك وعرة ، ولم يكن للمسافر بدٌّ من رفيق يعينه على متاعب الطريق .

وطريقنا فى هذا العهد هو الكتابة والتأليف ، والرفيق هو رئيس التحرير ، أو القارئ ، أو الرقيب فى الأيام التى تُفرَض فيها الرقابة على الكتابة والتأليف

ولى فى هذه النواحى تجارب ، وأستطيع أن أقول إن أعظم من عرفت من رؤساء التحرير هم عبد القادر حمزة وخليل ثابت وأميل زيدان ومحمود أبو الفتح وأحمد حسن الزيات ، فهؤلاء نشروا لى مقالات لم يكن يجوز أن تُنشر لولا إيمانهم بقيمة الحرية الفكرية

ولم أكن أعرف الرقيب الذى كنت أصطدم به يوم كنت رئيس تحرير جريدة الأفكار فى سنة ١٩٢١ فقد كان يفصل بينى وبينه فقيد الوطنية عبد اللطيف الصوفانى بك ، طيَّب الله ثراه

أما الرقيب فى هذه الأيام فهو الأستاذ محمود عزمى ، وأستطيع أن أقول إنى كنت أملك نشر ما أشاء بدون تهيب ولا تخوف ، لأنى كنت أملك الاحتكام إليه حين أريد

وفى الأستاذ محمود عزمى عيب فظيع هو الخضوع للحرية الفكرية ، وهو عيب جميل ، أكثر الله من أمثاله بين الرقباء !

بقى الرقيب الأعظم وهو القارئ

وأستطيع أن أقول إن رقابة القارئ لم تكن رفيقة فى أكثر الأحايين ، فقد كان يفهم عنى غير ما أريد ، وكان يرانى بعين الحقد والمقت فى بعض الأحيان

ومع ذلك بقيت صداقتى للقارئ كما كانت ، فلم أتحوّل ولم أتبدّل ، ولم أستبح الرياء لأظفر منه بالإعجاب ، لأنى أعتقد أن الكاتب الذى يتلمس المواقع من هوى القارئ ليس بكاتب ، وإنما هو مأجور ، والكاتب المأجور لا يصلح لشىء ولو استمد بيانه من وحى السماء

الكاتب الحق هو الذى لا يخاف غضبك ولا يرجو رضاك

الكاتب الحق هو الطبيب الذى لا ينزعج من صُراخ المريض

الكاتب الحق هو الذى يفزع إلى القلم والقرطاس كما يفزع الجائع إلى الطعام والظامئ إلى الشراب

الكاتب الحق هو النهر الذى يحمله الطغيان على الهدير ، أو الأسد الذى يحمله الغضب على الزئير

الكاتب الحق لا يعرف قراءه أبداً ، وإنما يعرف أنه ينفِّس عن صدره بالتعبير ، كما ينفِّس الوجود عن صدره بسعير الحروب

فمن كان يظن من القراء أننا اشتقنا إليه فهو مخطئ ، فما بنا شوق إلى أحد ، إلا أن تَصلُح الدنيا فترجع الأنوار إلى بُولِيش فى باريس ، وشارع فؤاد فى القاهرة ، وشارع الرشيد فى بغداد

أفى الحق أن الدنيا ردَّتنى إلى هذا الحد من القسوة والعُنف ؟

أفى الحق أنى أمسيت لا أهتم بعواطف قرائى ؟

هو ذلك ، فمنذ أسابيع وأنا جاثمٌ بالدار التى بنيتها على حدود الصحراء

وعن الرمال التى يُلهبها القيظ ، يتحرك القلم الذى يُلهبه الغيظ

فإن عشت وعشتم إلى عودة السلام فسيكون لى معكم حديث غير هذا الحديث . ألم تسمعوا أنى كنت شاعر الصباحة والجمال ؟

ألم تلومونى على عُنف الهيام بالعيون والقدود ؟

ذوقوا بأس الحرب يا عُشاق الحرب ، ذوقوا بأس البلاء يا عشاق البلاء ، فلن أنسى أنكم سَخِرتم منى حين كنت أتغنى بالجمال فى أيام السلام !

متى تعود أيامى وأيامكم ؟ متى تعود ؟ متى تعود ؟

عشنا وشفنا

شهدت حربين فى حياتى : الحرب الماضية والحرب الحاضرة

فمن كان يعجب من أنى قضيت حياتى فى حرب فليعرف أنى أخذت الوقود لأدبى من سعير هاتين الحربين ، ولا يملك الفرار من حوادث زمانه غير المزوَّد بالغفلة والجمود ، وما كنت من الغافلين ولا الجامدين

فى الحرب الماضية كنت طالباً بالجامعة المصرية ، وكانت أملاكى بالقاهرة لا تزيد عن مكتبة صغيرة سارعتُ بنقلها إلى سنتريس ورجعتُ لأشاهد تلك القلقلة التاريخية

وفى هذه الحرب ، الحرب التى يقال إنها قد تؤذى مصر بعض الإيذاء ، صار لى فى مصر الجديدة منافع هى المكتبة التى

لا يمكن نقلها إلى سنتريس، فأنا معها إلى أن يقضى القدَر بما يشاء

وأقسى ما أعانيه هو الفزع الذى يقاسيه جيرانى حين تولول صَفّارة الإنذار بغارة جويّة فى أعقاب الليل ، فهم ينزعجون ويتواصَون بالنزول إلى السراديب ليأمنوا شر الويل ، فأنزعج لانزعاجهم لحظة ثم أسلم جفونى إلى النوم العميق

الحياة ليست غالية جدًّا ، يا جيرانى ، فلا تخافوا ولا تجزعوا فأينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى أعماق السراديب !

وما قيمة الحياة وهى دُنيا بحق ؟

ألم نشهد فيها غدر الصديق بالصديق ، ونوم الحليف عن نصرة الحليف ؟

لن أقبل النزول إلى السرداب ولو سقطت السماء فوق الأرض ! ولو كان أبنائى فى مثل عزيمتى لأبيت عليهم الرحيل إلى مرابع السلامة فى سنتريس

وما الذى فاتنا من نعيم الحياة أو بؤس الحياة حتى نحرص عليه ؟

أنا باقٍ فى دارى على حدود الصحراء إلى أن ينفد زاد الموت ، والمستميت لا يموت .

زكى مبارك

ويلك آمن . . . !

للأستاذ محمود محمد شاكر

أيام من الدهر حائرة فى أودية الزمن ، وساعات تخالع المصائب وتلبسها بين الثانية والثانية ، ورعب مظلم خيّم على الأرض فلا تضيئه إلا شقائق النار وهى تفرى الجو ذاهبة وآيبة، وحيرة سابحة فيها عقول البشر لا تدع قراراً لفكر ولا خيال ، وسهام نافذة من البلايا تفتق نسج النفس الإنسانية فتقاً رغيباً يتمايا على الراقع والمصلح . . . فيا له من بلاء مطبق على العالم إطباق اليوم الصائف يسد بحره منافذ الأنفاس

ما الحياة ؟ ما الإنسان ؟ ما العقل ؟ ما الحضارة ؟ إلى أين نسير ؟ كيف نعمل ؟ لماذا نعيش ؟ فيم نتعب ؟ تبًّا لكل هذه الضلالات الداجية التى لا يبرق فيها نجم واحد يقول للإنسان : اتبعنى ، سوف تهتدى ! !

هذه هى الحضارة الأوربية الحديثة قد انتهت بالناس إلى خلق هذا الإشكال الدائم الذى لا يحل ، وساقت الناس إلى مراعى من الشك وبىء ، كلما ازدادوه غذاء زادهم بلاء ، فلا ينتهى من ينتهى إلا إلى هلكة تدع فكرة الحياة خرافة عظيمة قد اتخذت لها أسلوباً تتجلى فيه ، فكان أبلغ أسلوب وأفظع أسلوب ، هذا الإنسان الذى يحمل من رأسه قنبلة حشوها المادة المتفجرة التى تهلكه وتهلك ما يطيف به أو يقاربه ، فلا هو ينتفع بنفسه ، ولا ينتفع العالم به

لو سئل إنسان هذا القرن : ما أنت ؟ لقال : أنا اللعنة الملعونة التى تشأم نفسها وتشأم من يعترض انصبابها وسيلها . أنا الناب الذى ينقع فى الإنسانية سمه حتى تبرد حياتها فى عضته . أنا الهالك المهلك ، هذه حياتى ، وهذا عقلى ، وهذه حضارتى ، ومن أجل هذا خلقت ، وفى سبيله أعيش ، وعلى قضائه أعمل . . . ! !

ولو نشر اليوم فيلسوف من محبى الحكمة والعاملين عليها الذين أفنوا أعمارهم فى طلب الخير والفضيلة والحق والجمال ، وجعلوا عملهم هداية الإنسان إلى أسبابها وسلكوا له سبلها ، ثم نظر إلى هذه الحقبة من عمر الإنسانية فما تراه قائلاً فى صفة الإنسان وما فيه من الهون على درك هذه الحقائق ، والتحلى بها فى حياته ؟ أم تراه يعرف الصورة وينكر المعنى ؟

المدنية الأوربية الحديثة هى التى استطاعت أن تنفذ بالعقل فى ضمير الحياة تستنبط منه ناموس الحياة التى تدب على الأرض ومع ذلك فهى التى سلبت هذا العقل قدرته على الخضوع للروح لتمده بالنور المشرق الذى يستضىء به فى رفع الإنسانية درجة بعد درجة إلى مراتب الملائكة — أى إلى مرتبة الروحانية الصافية التى تنهل أضواؤها على النفس والقلب والروح ، فتروى من فيضها ، وترث من ذلك نوراً ورحمة وسكينة ، وتنبت غرسها الإلهى الذى يجنيه الإنسان هداية وعدلاً وسعادة ، فتتضاعف به الحياة حتى يقوى الخير فيها ويضوى الشر

لقد أخفقت هذه المدنية فى سعيها لخير الإنسان ، وأثبتت بكل دليل أنها مهما تكن أحسنت إلى الإنسانية فلم تحسن مرة واحدة أن تضبط نوازع النفس ، وتردها إلى الطريق الواحد الذى ينبغى أن تصدر عنه ، حتى تكون كل أعمالها نقية طاهرة متشابهة . ذلك الطريق هو طريق الروح الذى لا يتم لعمل تمام ولا يظفر بخلود أو بقاء ، إلا أن يكون فيه مس الروح وطهارة الروح ، وقدس الروح

أطلقت هذه المدنية فى الدم الإنسانى كل ذئاب الشر والرذيلة ، فخرجت من مكامنها جائعة قد سلبها الجوع كل إرادة تحملها على بعض الورع الذى يكف منها ، فداثت فى إنسانية الإنسان حتى جُنّ ، وتنزى فى الأرض وحشاً يجعل شريعته المقدسة تنبع أحكامها من معدته ، ومن أحكام هذه المعدة ومطالبها ، وكذلك انقلب النظام الاجتماعى فى العالم من نظام روحى عقلى سام ، إلى نظام اقتصادى تجارى ضار ، الآكل والمأكول فيه سواء . لأن النية انعقدت فى كليهما على الافتراس ، وما فرق بينهما إلا فرق القوة التى أعدت هذا للظفر ، وأسلمت ذلك إلى العجز ، فدفعت به إلى رحى تدور بأسباب من الطغيان والفجور

وما هى شريعة المعدة فى هذه المدنية الاقتصادية التجارية ؟ هى شريعة السوق التى لا تعرف قيمة الشىء إلا فى ميزان بين الطالب . فما طُلب فهو الجيد ، وما عُمِّىَ على الطالب فهو الردىء الذى لا قيمة له ، وكل شىء قائم فى جوهره على النزاع الذى لا تسامح فيه ، والأمر كله للغلبة : غلبة الأقوى ، لا غلبة الأعدل ، غلبة الحيلة لا غلبة الصدق ، غلبة البراعة لا غلبة الحق

فهذه الشريعة هى شريعة إعزاز القوىّ ، لأن القوة تسوّغه أن يتسلط ، وإذلال الضعيف ، لأن الضعف مما له به أن يتحكم ، وليس بين هذين معدلة ولا نصفة ، وليس أحدهما من الآخر إلا كالثعبان من العصفور إذا عرض له ، فسلط عليه الرعب من عينيه ، فينتفض فى قبضة أشعتهما المفترسة المسمومة حتى يبرد دمه فلا يستطيع حركة ، ولا يتنفس بدنه بذماء من الحياة . هى الشريعة التى تجعل إنسانها القوى مقبرة لإنسانها الضعيف ، فالقوى أبداً آكل قد أرمّت فى نفسه تلك الجيف التى انتهشها وألقى بها فى معدته ، فتجيفت وتعفنت ، وتصاعدت أرواحها المنتنة فى حياته ، فجعلته متسرعاً نفّاذاً كأنما يريد أن يهرب بنفسه من نفسه التى لا يطيق جوها ، لأنه جو خانق ، تطوف فيه أشباح الفرائس المسكينة التى بطشت بها أنيابه ومخالبه

هذه الحضارة القاررة التى تدنست روحها بالرم التى ضعفت أن تقاوم القوة ، لن تستطيع إلا أن تفسد العالم وتدنسه كما تدنست ؛ فإنه محال أن تكون الشريعة مدنّسة نجسة ، وتأتى الناس بخير طاهر مبارك يغسل أدران الإنسانية التى تتجمع عليها يوماً بعد يوم ، ولا أن تخرج نفس الإنسان فيها مع الفجر ندية مشرقة رفافة تستقبل بفضائلها أعمال نهارها

إن شريعة إعزاز القوىّ وإعلاء الأقوى ، وإذلال الضعيف وإسقاط الأضعف ، هى الشريعة الحيوانية التى لم تعمل إلا بإذلال الروح والعقل وإسقاطهما ونبذهما ، هى شريعة البغى والعدوان على الروح بالروح الشيطانية ، وعلى العقل بالعقل المتمرد ، وكلما استحكم أمرها كانت الإنسانية ذاهبة إلى نبع نجس تنغمس فيه لتصدر عنه أقوى مما وردت ــ أى أنجس مما وردت

إن الكون لا يصلح إلا على معنى الأقوى والأضعف . هذا حقٌّ لا يمارى فيه إلا مكابرٌ أو مبطل أو أحمق . ولكن يبقى ذلك العمل الإنسانىّ الذى يثبت للإنسان معانى النبل المنحدرة فى روحه من نبل النور الأزلىّ الذى بث الحياة بثاً فى نفسه وفى أعماله ، وبهذا العمل وحده يعرف الإنسان معنى السعادة فى السراء والضراء ، وفيما أرضى وما أسخط ، وتكون حاله فى الحالين واحدة ، وذلك بأن تتسع روحه بالواجب الاجتماعى الروحى الذى يتراحب بإنسانيته فى الكون كله ، فتقع اللذة منها موقع الألم ، وينزل الألم فى منزل اللذة ، وتمسح النظرة السامية عن الوجود كل الغبار الأرضى الذى يغطى محاسن الحياة وتنير الكلمة ظلمة النفس : الحمد لله فيما سر وما ساء

والعمل الإنسانى المستمد روحه من الجزاء الإلهى فى الإنسان هو العدل والمساواة ، وقد جعلت الحضارة الحديثة معنى العدل والمساواة صدقة يتصدق بها أغنياء قوم على فقرائهم ، وأقوياؤهم على ضعفائهم ، لا على معنى الصدقة فى إخلاصها لله ثم للانسانية ولكن على معنى التخفف من تعب الغنى وتعب القوة

أما حقيقة العدل والمساواة ، فهى عمل الإنسان الأقوى فى رفع الإنسان الأضعف إلى مرتبته ، فلا يزال هو يرتفع بقوته ، ولا يزال الضعيف يسمو معه لأنه معقود الأواصر به . وإذا كان ذلك هو القاعدة فالاجتماع كله سام ذاهب إلى السمو ، ولا يكون فيه معنى للطبقات إلا على معنى التدرج ، ولا يكون التدرج إلا على تماسك وتواصل ، وليس تماسك ولا تواصل إلا على حرص الأعلى على التعلق بالأدنى ، وكذلك لا يرتفع شىء من المجتمع لأنه أعطى القدرة على الارتفاع ، ولا يسقط الشىء الآخر منه لأنه لم يجد ما يتعلق إذ حرم هذه القدرة أو زويت عنه أسبابها

وقد جعل الإسلام من أول أمره غرضاً للمسلم لا يرضى منه غيره ، ورد معنى الإسلام إليه ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقاعدة وقال للناس : اعملوا : فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه

أزر بعض . والإيمان لا يعرف الغنى والفقر ، والقوة والضعف ، والمراتب الحيوانية التي طبعتها الطبيعة على تنازع البقاء وغلبة الأقوى ، بل هو معنى يوحد الناس حتى ليس لأحد فضل على أحد إلا بقدر منه ، وحتى إن العبد المملوك العاجز ليرفعه إيمانه على من ملكه واستبد به واعتقد رقبته بماله ، إذا لم يكن هذا المالك قد استحق بإيمانه مرتبة هذا العبد

وفي بعض الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء هداية إلى هذا الأصل ، فقد روى عن المعرور بن سويد أنه قال : لقيت أبا ذرٍّ بالربذة ، وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : إني سابيتُ رجلاً ، فعيّرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذرّ ، أعيّرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ! ! إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم

ولا ينتهي عجب متعجب من بلاغته صلى الله عليه وسلم ، وكيف ينزل كلامه تنزيلاً في معانيه ، تدور بها دورة دائمة لا تنتهي على نظام ثابت لا يتبدل . فقدّم صلى الله عليه وسلم الأخوّة بين المؤمنين لأنها هي الأصل الذي لا يتم معنى الإيمان ولا معنى الإنسانية إلا به ، وردّ على هـذه الأخوة ما يوجبه المجتمع من مراتب الناس على الغنى والفقر ، والقوة والضعف ، ألا وهي الخدمة التي يقوم بها النظام الاجتماعي فقال : « إخوانكم خولكم » ولم يقل : « خَوَلكم إخوانكم » ، هذا مع أن أصل الخطاب إلى أبي ذر يتوجه إلى مقصود بذاته ، وهو خادمه أو غلامه الذي سبّه ، فكان أول ما يسبق إلى اللسان ، وأقرب ما يسرع إليه الوهم ، أن يتعين خادمه بالابتداء

ثم انظر كيف قال : « جعلهم الله تحت أيديكم » ، « فمن كان أخوه تحت يده » ؟ وكيف حرّر الإنسان من رقبة العبودية القابضة على عنقه ، فجعله تحت يده يستظل ويتحرك في هذا الظل ، ولم يجعله في يده يتصرف فيـه ويقبض عليه ويستذله ، فإن شاء حطمته قبضتُه . ثم دَرَج على هذا الأسلوب البليغ حرفاً بعد حرف حتى قال : « فإن كلفتموهم فأعينوهم » ، وذلك زكاة القوة التي بها ملك المالك ، واستخدم المستخدم . فإذا كان المؤمن قد قوى على تكليف ضعيفه أن يعمل ، فهو أقوى على أن يشاركه إذا عجز أو قعد به الضعف الذي أساره إلى أن يرضى أن يخدم نفسه من كان أعلى يداً وأقوى قوة

فهذه هي شريعة الروح الطاهرة التي تتعطر من نواحيها برائحة جنة الخلد ؛ فانظر ما بينها وبين شرائع المدنية التي جعلت أحشاءها مقابر للضعفاء تأكل منهم لتتسع بمعنى الجريمة الحيوانية ، وتنقبض عن معنى الرحمة الإنسانية الإلهية

فهل يمكن أن يتطهر العالم فيما يستقبل من أيامه على أساس هذا الهدْى النوراني الذي جعل النظام الاجتماعي سموًّا بالإنسان كله على مراتبه كلها ؟ هل يمكن أن يفهم العالم حقيقة هذا التطهير التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا قدّست — أي طهّرت — أمةٌ لا يؤخذُ لضعيفها من قويها » ؟

ويلك آمن ... ! إن وعد الله حق

محمود محمد شاكر

٤ – إلى أرض النبوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السوري إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البري للسيارات]

للأستاذ علي الطنطاوي

إن من دأب العادة أنها تضعف الحس ، وتذهب بالانتباه . فالغنى الذي يلبس الحرير ، وينام على السرير ، ويركب السيارات ، ويملك (العمارات) لا يجد لذلك كله من اللذة ما يجد الفقير المعدم ، والبائس المحروم إن نال مثله ، والشبعان لا يدرك اللذة التي يتوهمها الجائع ، والصحيح لا يعرف لنعمة الصحة قدرها إلا إذا مرض ، فلا لذة في الدنيا إلا في التنقل والتبدل ، وألا تمحد على حال مهما حسنت في ذاتها . وهذا ما أراده الشاعر حين قال :

ولذيذ الحياة ما كان فوضى ليس فيه مسيطر أو نظام

من أجل ذلك أحسسنا حين ذهبنا إلى غداء الأمير ، ورأينا عادات لم نألفها ، وطرائق في الطعام لم نعرفها ، بلذة التبدل والاستمتاع بالجدة ، فما كاد يستقر بنا المجلس حتى أقبل العبيد فمدوا سماطاً على الأرض ، ووضعوا عليه قصعة هائلة كان يحملها منهم اثنان ، وقد ملئت رزاً وألقى فوقه خروف كامل بيديه ورجليه ورأسه ، إي والله . . . كأنهم (والله أعلم) خافوا أن نشك فيه فنحسبه دباً أو فيلاً أو قطاً ، فأبقوا على الرأس دليلاً قاطعاً على أنه خروف أصيل من أمة الضأن

وكان الخروف مفتوح العينين ، ناعس الطرف ، فأخذتني الشفقة عليه ، وتوهمت أنه ينظر إلينا ، وأنه .... ثم رأيت أن لا مجال للوهم ولا للخيال ، وأن الوقت لا يتسع للأدب ، لأن القوم أحدقوا بالقصعة وشمروا عن سواعدهم ، ونظروا شزراً فعل من يقدم على معركة ، فخشيت أن يذهبوا بالرز واللحم ، ويبقى لي الخيال والوهم ، ومتى أفاد الخيال جائعاً ، أو أجدي الأدب على إنسان ؟

وكان أصحابنا يدورون بعيونهم يفتشون عن ملعقة أو سكين أو شوكة فما وجدوا شيئاً من ذلك ؛ وأبصروا القوم يأخذ أحدهم قبضة من الرز ، فيديرها في كفه ، ويعصرها ، حتى يقطر منها السمن ، ويحركها كما يحرك اللاعب الكرة قبل قذفها ، حتى إذا اطمأن إلى أنها صارت كالقنبلة ، قذف بها في حلقه ، فما استقرت بإذن الله إلا في معدته ، لا تقف في الفم ، ولا تمسها الأسنان ... وطفق أصحابنا ينظرون إليهم ويعجبون ، ثم أقبلوا يا كاون كما يا كلون ، ولبثت منتظراً أقول لنفسي وأنا أحاورها لأقنعها : من أين تأكلين إذا لم تجاري وتماشي ، وتستعدي لقبول كل ما تأتى به الحال ؟ وإني لفي تفكيري ، إذ حانت مني التفاتة ، فوجدت القصعة قد تكشفت ، والخروف المسكين قد تناثر لحمه ، وبدت عظامه ... فمددت يدي آكل كما يأكلون ، وقد علمت أن شر طعام خير من الجوع ، والرز يتفلت من بين أصابعي ، والسمن يملأ كفي ، فإذا رفعتها إلى فمي ، نقط من مرفقي ، ولم يكف القوم ما كانوا قد وضعوا من السمن ، بل عمدوا إلى كؤوس يحملونها ، فملؤوها وصبوا ذلك أمامنا ، حتى ما نستطيع من كثرة الدهن أن نأكل ، ولم يكن الرز ليستدير في يدي استدارته في أيديهم ، بل كان يدخل بين أصابعي ، حتى أضطر إلى إدخالها جميعاً في فمي ، وغسل وجهي كله بالسمن ...

وانقضى الطعام . ولا تسألني : أشبعت أم لم أشبع ، كيلا يطول سؤالك كما طال في هذه الرحلة عطشي وجوعي

ثم جاؤونا ونحن في مجالسنا بطاست عليه مصفاة قد وضعوا فوقها قطعة صابون وإبريق يصبون منه على أيدينا ، على نحو ما كان يصنع في دمشق قبل عشرين سنة ، ولم تكن تلك طريقتهم في الغسل ، وإنما يكون مثلها في مجالس الأمراء والمتحضرين من العرب . أما البدو ، فيجزئهم الرمل . وقد بلغنا عن بعض البدو في جهات الشام ، أنه إذا كانت وليمة أو غداء كالذي نصف ، خرج الضيوف فمسحوا الدهن الذي في أيديهم بباب الخيمة . وعندهم أنه كلما ازداد عليها من الدهن ازداد كرم الرجل وفخاره ...

***

ثم خرجنا نجول في البلد ، وقد علمت أي شيء هذا البلد فاستقريناه كله في ساعة ، ثم دخلنا المسجد ، فرأيناه داني السقف قائماً على عمد دقاق من جذوع النخل ، جدرانه من الطين ، وأرضه مفروشة بالرمل ، لا بساط ولا (سجادة) ولا حصير ، فسألنا متعجبين ، فعجبوا من عجبنا ، وأنكروا سؤالنا ، وكأنهم استخفونا واستجهلونا ، لأن من المقرر عندهم (كما علمنا بعد) ، أن هذه هي سنة السلف ، وعليها مساجد نجد كله اليوم . وأنا رجل سلفي وهابي ، ولكنني لست من المتمسكين بحرفية النصوص ، ولا ممن يأخذها بلا فكر . وأنا أفهم أن المسجد في الإسلام

يستحب فيه الخلو من الزخارف التي تشغل عن الصلاة ، وتطلب فيه (البساطة) ، ولكن البساطة مردها إلى العرف ، وليس مدارها على الرمل والطين . والذي أفهمه أن فرش المسجد بالبسط النظاف ، وتحوير جدرانه أو دهنها بلون واحد ، واتخاذ مكان فيه للأحذية حتى لا توضع حيث توضع الجباه ، ومدافئ للشتاء إذا كان البلد بارداً ، ومراوح كهربائية في البلد الحار ، وإقامة مكبر للصوت في مثل مسجد دمشق الذي يجتمع فيه اليوم لصلاة الجمعة أكثر من عشرين ألف مصلٍّ . كل هذا لا ينافي سنة (البساطة) ، وإن لم يفعله السلف للجهل به أو لعدم الحاجة إليه.

ومصيبتنا نحن المسلمين في هذه الأيام أننا لا نعرف التوسط ولا الاعتدال ، فمنا من ينطلق وراء عقله وحده لا يتقيد بوحي ولا كتاب ، ومنا من يدع العقل والكتاب والسنة ليفكر بعقول من مضى من فقهاء القرن التاسع والعاشر ، أو يأخذ من الكتاب والسنة ، ولكنه يفهم بالحروف والألفاظ ويدع ما وراءها من المجاز والإشارة والحكمة والمصلحة ...

* * *

عدنا إلى الدار التي منحونا مفتاحها ، نتحدث ونسكت ، وننام ونفيق ، ونقرأ حتى نمل ، ونمل فنعود إلى القراءة حتى تصرّم النهار ونحن نظنه من ثقله شهراً . وقد عرضت مرة في بعض مقالاتي إلى تحليل الحس بالحياة ، فكان من رأيي أن الحياة أصعب شيء على الإنسان ، وأنه لا يستطيع أن يحملها ، فهو يقطعها أبداً بحديث أو مطالعة أو عمل ، أو ما هو من ذلك بسبيل ، فإذا خلت حياته من شيء يشغلها عادت همّاً وحملاً ثقيلاً . وكذلك كانت حياتنا ذلك اليوم في (قريات الملح) . وكنا قد سألنا الأمير دليلاً ، وأقمنا ننتظره حتى جاء ، وإذا هو سيد من سادات (الشرارات) ، عُمّار تلك الديرة ، والعشيرة صاحبة النفوذ فيها اسمه (مِسْلَّي) ؛ ولي في صفته كلام في أول قصة (أعرابي في حمام) ما زدت فيه على الحقيقة وإن كنت قد أقمت القصة على الخيال ؛ فليرجع إليه من شاء تتمّة

وقد أبدلنا الله بدرهمنا ديناراً حين صرف عنا الحاج غراباً الجاهل الجامد ، الحضري الثقيل ؛ وجاءنا بهذا الأعرابي الفكه الظريف الذي أخذنا منه فوائد كثيرة ولمسنا في صحبته السلائق العربية لمساً : الذكاء والوفاء والإباء ، والمنطق البليغ والذاكرة القوية والجواب الحاضر والصبر والإيثار . وأشهد لقد أحسن إلينا أمير (القريات) حين اختاره لنا ، فلما حضر تجددت عزائمنا ، فأعددنا ثقلنا ، وذهبنا نودع الأمير ونستأنف السفر ، وكان أهل البلد مجتمعين حول الدار التي نزلناها ، وكأن مجيئنا من الحوادث الكبرى في تاريخ البلد . فمشينا بينهم ، ودخلنا الحصن ، فوجدنا الأمير قد أعد لنا مجلساً في رحبته ، يشرف على الفضاء ، ودعانا إلى البيت ، وألحف علينا ، وذهب يلتمس إلى إقناعنا الطرق ، ونحن نعتذر ونتملص ، لا أدري أكان ذلك حياء من الأمير أن نطيل المكث في ضيافته ، أم كراهية البقاء في هذه البليدة الساكنة سكون المقبرة ، الخالية من كل شيء يشغل أو يسلي ، أم حماقة وطيشاً ولعل ذلك هو الأقرب ... فلما يئس منا عرض علينا العشاء فأبينا واجتزأنا بالشاهي نشربه إذ لم يكن منه بد ، وأخرجنا مما كان معنا حلوى من حلويات دمشق التي ملأت شهرتها الآفاق ، وعجزت عن صنع مثلها أيدي العلماء ، فعرضنا منها على الأمير فطعمها فأعجبته وقال لنا ، إنه ما ذاق مثلها ، وخير ذلك ألا يذوقها فيعوده مذاقها الترف والنعيم ، ويسلبه روح الصحراء

وانتهى المجلس مع الغروب فقمنا إلى الصلاة ، ثم استقبلنا البادية القاحلة حيث لا نجد حاشا تبوك والعلا ، داراً مأهولة ، ولا منزلاً معموراً ، ولا نجد إلا الرمال والصخور والشمس الملتهبة ، والفضاء الأرحب ، حتى نصل بمشيئة الله إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

سرنا فما جاوزنا غير ساعة حتى أظلم الليل ، وتوعرت الأرض ، وتعذر المسير ، فأمرنا الدليل بالنزول ، فنزلنا وجعلنا من عادتنا بعد ذلك ألا نسير إلا نهاراً ، وإن اضطررنا إلى مشي الليل اخترنا الإدلاج من آخره على السرى من أوله ...

وكان نزولنا في أرض رخوة ما ألقينا لها بالاً ، فلما نصبنا الخيمة وبسطنا البسط وقعدنا إذا بها تعصر ماء ، وإذا هي سبخة من تلك السباخ التي يستخرج منها الملح ، فتفرقنا وأبعدنا رجاء أن نصيب أرضاً خيراً منها فما وجدنا ، فاسترجعنا وندمنا على ترك البلد ، والسفر ليلاً ، والإعراض عن دعوة الأمير ، وأمضينا الليل على شر حال ، منا من نام وسط الوحل ، وما السبخة إلا وحل . فأصبح يشكو الرثية (الرومانزم) أو يحس الأذى في ظهره ، ومنا من لبث الليل كله في السيارة لا يستطيع أن يتحرك أو يمد رجله ، ولقينا من الشدة ما ذكرنا معه بالخير ليلة (أم الجمال).

خرافة

هذا الانسان ... أوجد الحضارات

« السمك والوحش والطير يأكل بعضها بعضا ، لأنها حرمت العدالة ، أما الانسان فقد منحه زيوس إياها وهى خير ما يمنح . . . »

أما أنا فأقول لم لا يأكل الناس بعضهم بعضاً

فى زمان سلف ، قديم كل القدم ، وفى مكان لا أعرفه تماماً ، كان يعيش أبو البشرية آدم وأمها حواء والابن البار هابيل ، والابن العاق قابيل

وفى يوم من الأيام ، بعد أن مل قابيل العمل وزهدته نفسه ، واستصغرته ، جلس على مرتفع من الأرض ، ومرفقه إلى ركبته ، وقد أسند رأسه إلى قبضته الضخمة . جلس قابيل مهموماً قبل أن تخلق الهموم ، مفكراً قبل أن يخلق التفكير . لقد مل العمل ومل الحياة ، وضاقت الدنيا على سعتها ، فلم تعد تحقق شيئاً مما يريد قابيل . ها هو ذا يعمل كل يوم . يذهب فى الصباح إلى الأرض يصلحها ويبذر الحب فيها ، وإذا أعوزها الماء حمله إليها من أماكن بعيدة ، ثم إذا هو رأى حيواناً يعبث بماشية يرعاها أخوه ، سعى إليه وأرداه

كل شىء أمام قابيل سهل ميسور . إنه ما حاول يوماً عملاً واستعصى عليه . كل ما يراه خاضع ليده القوية . الأرض تتفتق فى يسر وهو يضربها لتفلح . والحيوانات باتت تخاف رؤيته . والأمطار إذا شحت استطاع أن يحمل الماء من أماكن سحيقة دون أن يتعب ... كل شىء سهل ميسور إذا تناوله قابيل . فأية حياة فارغة هذه ؟

وفى تلك اللحظة مر هابيل يسير كعادته دائماً فى سكون وبطء ، لاهياً عن كل شىء بشىء لا يفهمه أخوه ؛ إنه يأخذ الحياة كما وجدت ، لا يطلب جديداً ولا يتعب نفسه فى هذا الطلب ، ولا يحس مللاً كما يحس قابيل

ثم هناك كبش هابيل ، لقد قبل عند ما قدمه قرباناً ، فنزلت النار من السماء والتهمته ، بينما لم يرفع زرع قابيل الذى قدم كما رفع كبش أخيه

وبعد ! فلابد إذن أن يكون هابيل شيئاً عظيما ، فقربانه قد قبل بينما لم يقبل قربان أخيه ؛ وكلاهما ابن لآدم وحواء . وهو لا يفكر كما يفعل قابيل وإنما هو لاه راض . إنه إنسان

رب ليل بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه

***

تبدل علىّ كل شىء مذ فارقت (القُريّات) ، فلقد كنت قبل أن أصل إليها أفكر فيها وأراها غاية سفرى ، فصرت أمشى من بعدها لا أعرف لى غاية إلا تبوك ، وأين نحن من تبوك حتى نفكر فيها ؟ وكيف وبيننا وبينها أيام وليال ؟ وكنت آسف على فراق دمشق فصرت لا أفكر فيها إلا لماما ، وأحسست كأنى منقطع حقاً عن العالم ، فلا بشر إلا الرفقة التى أصحبها ، وليس إلا الرمل والتلال والسراب مشهد نراه ، وكان عملنا كله التدقيق فى الأرض ، والانتباه إلى الدليل ، لنجتنب الخوض فى رملة ، أو المرور على شعب ، أو الالتقاء بصخرة . ولقد كنت أنظر تارة إلى هواننا على الصحراء ، وأفاضل بين صغرنا وجلالها ، وفنائنا وبقائها ، فأحس الصغار ، وأشعر بالعجز ، ثم أنظر فلا أرى فيها إلا إيانا قد انفردنا بين شرقها والمغرب ، وانبسطت تحت أرجلنا وامتدت إلى الأفق البعيد ، ونحن نغزوها ونوغل فيها ، ونحمل حرها وبردها ، ولا نبالى شمسها ولا رملها ، فتغمر نفسى القوة ، وأرفع رأسى فخاراً ، وأتيه زهواً . . .

وكنا نسير النهار كله ، سيراً بطيئاً . وما أكثر ما نقف نخرج سيارة غاصت فى الرمل ، أو نتحرى خير الطرق ، أو ننظر فى (الموصلة) لنتبع أبداً الجنوب ، وكنا أبداً على استعداد للوثوب من السيارة . فإذا مالت الشمس واصفرت ، نزلنا فنصبنا خيمتنا وأكلنا وشربنا الشاى ... وأنا أحلف أنى على ولعى بجمال الطبيعة ، وارتيادى الجبال والأودية ، ووقوفى بالعيون والينابيع ، ومقامى على الشواطئ وحيال الشلالات ، ما رأيت منظراً أجل ولا أجمل ولا أحفل بالعظمة والمتعة من أماسى الصحراء ، حيث تضطجع على تلة من التلال ، ثم تمد بصرك إلى الجهات الأربع فلا يحجزه حاجز ، ولا يقف فى سبيله شىء ، فترى الشمس وهى تغيب فى الأفق الغربى ، وظلام الليل وهو (يشرق) من الأفق الآخر ، والنجوم وهن يطلعن فى السماء الصافية ، وتحس بلطف الليل ورقة نسيمه ، كما أحسست بجلال النهار وحدة شمسه ، ثم تقوم مع الفجر قوياً نشيطاً ، قد قبست من روح الصحراء روحاً جديداً ، لتستقبل الحياة بعزم جديد !

علي الطنطاوي

الفروق السيكلوجية
بين الأجناس
(RACES)

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

تمهيد

قصدت بهذا التمهيد أن أقدم مجالة عامة عن مشكلة الأجناس البشرية والمفاضلة بينها، وألا أتعرض للبحوث العلمية التي أجريت منذ أواخر القرن الماضي لمعرفة الفروق بين الأجناس. وقصدت أيضاً أن أجعل موضـوع اليوم ذا صبغة تاريخية اجتماعية حتى أريح القارئ قليلاً من مطالعة الحقائق العلمية الجافة، ولكنني إن أعفيته هذا الأسبوع من عرض الحقائق العلمية التجريبية فلن أعفيه منها في الأسابيع القادمة

ومشكلة الفروق الجنسية مشكلة قديمة كقدم آدم. لا بل إنها تبدأ به، وبالخلاف بينه وبين إبليس اللعين، فإنه لم يتحرج من إعلان احتقاره للجنس البشري حين أبى أن يسجد لآدم كأمر ربه. فقال الله تعالى: « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ أستكبرت أم كنت من العالين؟ قال: أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين » ومن هذا اليوم ظهر الخلاف بين الجنس الناري والجنس الطيني، وهو خلاف جر مصائب على إبليس ومن تبعه، وعلى آدم وذريته من بعده، ولا يزال مثل هذا الخلاف الجنسي مبعث المحن بين بني آدم أنفسهم

ثم هبط آدم إلى الأرض وتفرق أبناؤه شعوباً وقبائل، واختلفت ألسنتهم وألوانهم، وبعدت صلتهم بأبيهم الأول، فتنافسوا وتحاسدوا، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء، وذهب كل شعب يُدِلُّ بعَدده وعُدده، وحضارته وثقافته، ويفخر على الشعب الآخر، ويعيره قلة العديد وتأخر الحضارة. وكان ما كان مما حفظه لنا التاريخ والكتب المقدسة وما لم يحفظ

أقام بنو إسرائيل في مصر القديمة، وفلحوا الأرض، ورفعوا البنيان، وكثر عددهم، وقوى ساعدهم، وأصبحوا ذوى نفوذ وسلطان. فخشيهم فرعون ومن معه، ونظروا لهم شزراً واحتقاراً « واستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بقسوة، واستعبدوهم واستخدموهم في الطين واللبن، وفي كل عمل في الحقل. وكان كل عمل عملوه بتأثير الضغط والعنف...[1] » ولم يكن من فتاح بالين جانباً مع الإسرائيليين من سلفه رمسيس الثاني، فأذاقهم الأمرين لا لسبب إلا لأنهم غير مصريين، ومن جنس أجنبي، حتى إذا بلغ بهم البؤس مبلغه جاءهم موسى بعصاه، فأنقذهم من جناية جنسهم عليهم، ولاقى من فتاح حتفه شر لقاء

ثم سار التاريخ سيرته في الشرق والغرب، فظهر الإغريق بحضارتهم وفلسفتهم وآدابهم، تلك الحضارة الإغريقية التي يعزى إليها — وإلى الرومانية أيضاً — فضل النهضة العلمية الأوربية وحسب الأغريق أنهم شعب مقدس لا يصح أن يتزاوج مع غيره، ولا أن يختلط غيره به[2]. وسموا غيرهم من الشعوب همجياً ووحشياً. ولم يذكروا أن حروفهم الأبجدية إنما كانت عارية فينيقية، وأن مبادئهم الفلسفية نشأت في مصر. فتعصبوا

(١) سفر الخروج الاصحاح الأول الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة

(٢) أنظر جمهورية أفلاطون

آخر غير قابيل، إنه شيء غامض محاط بالسر...

وتنهد قابيل تنهدة المحنق وظل يتبع أخاه النظر يسعى إلى الكوخ بجسمه الطويل المعروق والماشية تسعى من أمامه

هذا الإنسان الغريب الناعم لم لا يسبر غوره ويقيس قوته إليه؟

... ورويداً رويداً نزل الظلام؛ ورويداً رويداً امتد الزمن به. فقام أخيراً وقد أزمع أمراً

لقد وجد ميداناً جديداً تبرز فيه قوته. ولقد كان الظلام حليفه هذه المرة، لأن قابيل لم يستطع أن يبلغ مأربه إلا في الظلام!

ومضى الليل إلا أقله، وبينما كان آدم وحواء نائمين، وقف قابيل خلف أخيه، ثم رفع يده وهوى بها، فسقط هابيل، دون أن يتهيأ لهذه المفاجأة، لأن أخاه استعان بها كما استعان بالظلام!!

وهكذا استطاع قابيل أن يجرب قوته من جديد وقد نجح في ذلك

وبعد، أفتدرون لم لا يأكل الناس بعضهم بعضاً؟ ذلك لأنهم يجدون ما يأكلون

« م. وهبة »

ضد غيرهم من الأجناس، ودعوهم برابرة. وكانت كلمة Bàrbaros أول ما ظهرت في لغتهم[1]، فأطلقوها على الرومان جيرانهم، لأنهم كانوا من جنس غير جنسهم، ولأن لغتهم اختلفت عن لغتهم، ولأنهم كانوا دونهم في الحضارة والثقافة، ولم تلبث هذه الكلمة أن دخلت اللاتينية فاستعملها الرومان بدورهم، وأطلقوها على الشعوب الأوربية التي كانت تتاخمهم كالصقلب والسكت والجرمان. وهكذا اعتبر الرومان — الذين كانوا يسمون برابرة — كل من لم يدخل ضمن نفوذ الإمبراطورية الرومانية بربرياً لأنه غير متحضر، ولأنه من جنس دون الروماني

لم تكن الحال في بلاد العرب قبل الإسلام بأحسن منها عند الأمم الأخرى، فبا الرغم من أن العربي يعتز بجنسه العربي كانت المنافسة بين عرب الجنوب وعرب الشمال تصل إلى العداء والقتال، بل كانت الحروب بين العدنانيين أنفسهم لا تطفأ لها نار. وكان التعصب للقبيلة — التي هي الجنس بمعنى ضيق — من أهم أسباب هذه الحروب. وكان الفرد من البطن يفخر على ابن عمه من البطن الآخر بنبل أسرته وكرم محتده. وظل أثر ذلك إلى الإسلام. وها هو ذا جرير يهجو نميريا بقوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

مع أن كلاباً ونميراً كلاهما ينتمي إلى أصل واحد هو عامر ابن صعصعة الهوازني

ما كان الإسلام دين تعصب أو جنسية. فقد كان الناس فيه سواسية كأسنان المشط. ولم يكن بين المسلمين فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. وقد حافظ الخلفاء الراشدون على هذه المبادئ السامية، فلم ينظروا إلى الشعوب المفتوحة نظرة الناب القوى، ولم يحطوا من شأن الأجناس التي خضعت لهم. بل لقد كان أول الشروط التي قدمها عمرو بن العاص إلى مقوقس مصر هو « إما دخلتم في الإسلام، فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا وعليكم ما علينا ». غير أن النعرة العصبية القديمة بعثت في عهد الأمويين الذين اعتقدوا أن العرب هم أفضل الأجناس، وأن لغتهم أرق اللغات. ونظروا إلى الموالي وأجناسهم نظرة احتقار وازدراء. وكانت هذه سياسة خاطئة أثارت حروباً جدلية شعواء، وكرهت الأجناس غير العربية — ولا سيما الفرس — في حكم الأمويين فأخذوا يتلمسون الفرص للثورة والخروج على الولاة، فانضموا إلى الخوارج والشيعة، وآزروا دعاة بني العباس، فكان لهم النصر

ولم تكن هذه المفاضلة الجنسية بين العرب والفرس فقط، بل كانت بين العرب أنفسهم عدنانيين وقحطانيين في الشرق وفي الأندلس. وكانت اليقظة الشعوبية (في بلاد فارس) أيام حكم العباسيين، هي التي مهدت وجود تلك الدويلات التي مهدت لزوال الخلافة

وقد أسرف الشعوبيون في الحط من شأن العرب، فرموهم بالتأخر، وأنه لم يكن لهم ملك يجمع سوادهم، ويضم قاصيهم، وينهى سفيههم. ولم تكن لهم قط نتيجة في صناعة، ولا أثر في فلسفة، إلا ما كان من الشعر، وقد شاركهم فيه العجم. ورماهم ابن خلدون بالتوحش وتخريب العامر، واستباحة أموال الناس نهباً ومغرماً

وفي أوربا استمرت الحروب الجنسية أثناء القرون الوسطى بين القوط والوندال، وبين الجرمان والغال، وبين السكسون والسكت، وبين الاسكتلنديين والإنجليز. وهذه الحروب وإن كان بعضها للغزو والغنيمة إلا أن الجنسية كانت تشملها، لأن الجنسية أو العصبية كانت دائماً العامل المشترك بين أفراد الفريقين المتحاربين

وفي أوربا الحديثة شاعت نظرية الجنس الأبيض والأجناس الملونة Coloured races، واعتقد العامة — والمتعلمون أيضاً — أن الأجناس الملونة أحط من الجنس الأبيض في الذكاء والاستعداد الفطري للانتاج، والاستعداد لتلقي الحضارة. ولعل الذي ساعد على انتشار هذه النظرية الحقيقة الماثلة، وهي سيادة الجنس الأبيض الأجناس الملونة

وفي أمريكا — بلاد الديمقراطية — نجد الزنوج في ولايات الجنوب موضع احتقار مواطنيهم البيض، وهذا بالرغم من تفوقهم في الزراعة والصناعة والرياضة

ثم ما هي تلك الحمى الجنسية الطائشة التي عبثت بعقول العلماء والساسة من النازيين فألفوا الكتب ووضعوا القوانين ليثبتوا

---

(١) أصل كلمة Barbarian عند الاغريق القدماء الأجنبي. ومنها كلمة بربر لسكان شمال أفريقية. ويزعم بعض المؤرخين أنها من وضع العرب عند فتحهم لهذه البلاد، والحقيقة أن الكلمة كانت مستعملة قبل الفتح العربي. فقد وجد في النقوش المصرية القديمة التي يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٠٠ وسنة ١٣٠٠ ق م كلمتان هما: بارابارا، وبارابراتا، وكل منهما اسم قبيلة من سكان ليبيا

أن الجنس الآرى أو الجرمانى هو أفضل الأجناس البشرية ، وأن الشعوب السامية — وهى مهبط الوحى ومنبع العرفان — شعوب منحطة لا حضارة لها ولا فن ؟

إن هذه الدعاوى المريضة بانحطاط بعض الأجناس وتفوق البعض الآخر ، وما ترتب على ذلك من كرب وحرب ، ومطاردة وعداء ، ما كانت لتستند إلى دليل من العلم أو برهان من التجربة ، اللهم إنها السياسة هى التى أحلت ذلك . والسياسة والعلم لا يتفقان . لأن العالم Scientist يحترم الحقائق لذاتها ، فلا يحابى ولا يتأثر بغاية ، فهو فى أحكامه موضوعى objective بينما السياسى ذاتى subjective يضحى بالحقائق العلميـة فى سبيل مبدئه وغايته . ولذلك لا يكون — ولن يكون — العالم سياسياً إلا إذا طاش العلم

وسنستأنف حكم السياسة السابق على الأجناس أمام قضاة العلم فى المقالة القادمة إن شاء الله

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

إرادة الطفـــــل

لجان جاك روسو

ترجمة الأستاذ عبد الكريم الناصرى

تكفلت فى إحدى السنين بتربية طفل « شقى » تعود تنفيذ كل ما يضطرب فى عقله الصغير من رغبات ، وما يجول فى قلبه البرىء من أمانى ، كما تعود أن يحمل غيره على تنفيذها إن لم يستطع هو. وقد عرفت فيه تلك العادة منذ اليوم الأول لتكفلى تربيته ، إذ أراد أن يجرب خلقى وذوقى ومجاملتى ، فرأى أن ذلك لا يتم له إلا بمضايقتى وتكدير خاطرى . وبينما أنا غارق فى نومى فى منتصف الليلة الأولى ، إذا به يستيقظ من نومه ويجلس تحت سريره ، ثم يلبس (الروب دى شامبر) ويدعونى . فنهضت وأشعلت الشمعة، وسألته عن أمره وماذا يريد، فلم يطلب شيئاً، ولم يبد سبباً لنهوضه ؛ بل عاد إلى سريره واحتواه النوم بعد ربع ساعة ، راضياً عن تجربته ، مقتنعاً بحسن مجاملتى ، مبتهجاً لقوته وسلطانه ! وبعد يومين أعاد تلك التجربة بنفس النجاح ،

أما أنا فلم أبد أية إشارة إلى الضجر ، أو علامة على نفاد الصبر ، ولكنى قلت له حين عانقنى عند عودته إلى النوم : « إسمع يا صديق الصغير . إن هذا حسن جداً منك ، ولكن لا تكرره ثانية »

وقد أثارت هذه الكلمة فضوله وهيجت منه حب الاستطلاع وأراد أن يرى كيف أجرؤ على عصيان أوامره السامية . لذلك لم يفته فى الليلة التالية أن ينهض فى منتصفها ويدعونى .. سألته ماذا يريد . فأجاب إنه لا يستطيع أن ينام . فأبديت أسفى الشديد وسكت . ثم رجانى أن أشعل الشمعة، فاستوضحته السبب، وصمت. عندئذ هب يدور حول الغرفة راكضاً ، صائحاً ، مغنياً ، ضاجاً صاخباً ، قالباً المناضد والكراسى، كل ذلك لإزعاجى والانتقام منى . ومع ذلك ، فقد نهضت بصمت وسكون ، وأشعلت الشمعة ، ثم تناولت صاحبى الظريف بيدى ، وأدخلته حجرة له مجاورة لحجرتى وتركته هناك بدون ضوء ، بعد أن أغلقت الباب عليه بالمفتاح ؛ ورجعت إلى فراشى بدون أن أتفوه بكلمة واحدة . ولا حاجة إلى القول بأن الضجة لم تنقطع بسرعة ، ولكنى أصغيت — بعد هدوئها — فعلمت أنه رتب فراشـه ويستعد للنوم ، فاطمأننت وهدأ روعى . ولما كان الصباح دخلت غرفته فرأيته مستلقياً على فراش صغير وغارقاً فى نوم عميق

ولا تظن أن هذا الطاغية الصغير لم يكن يحسن من أنواع المشاغبة والمشاكسة إلا هذا النوع . كلا ، ففى أية ساعة يحلو له الخروج فيها ، يجب على المربى المسكين أن يكون مستعداً لاصطحابه — أو بالأحرى لمتابعته والجرى وراءه — وكان يُعنى عناية فائقة ويحتفل احتفالاً خاصاً باختيار الوقت الذى يكون فيه مربيه منهمكا فى أعماله أشد الانهماك ، كأنه يريد أن ينتقم منه على الراحة التى اضطر فى الليل إلى تركها له

* * *

... لذلك لم يفته فى اليوم التالى أن يقطع على عملى ويطلب منى أن أصحبه ، وأترك ما أنا فيه من عمل بمزيد السرعة. فرفضت، ولـكن رفضى لم يزده إلا إلحاحاً وإصراراً ...

وأخيراً قلت له : كلا ! إفهم أنى حين أنفذ إرادتك ، فإنك تعلمنى أن أنفذ إرادتى أيضاً ... إنى لا أريد الخروج ! فأجابنى على الفور: حسن ! فإنى خارج وحدى !

قلت: « كما تريد » . . ورجعت إلى عملي متغافلاً عنه

... أخذ يلبس ملابسه مهموماً لأنني لم أنهج سبيله وأسلك مسلكه . ولما انتهى من لبسها حياني تحية الخروج ، فرددت التحية ، وأراد أن ينذرني الإنذار الأخير ، فأخبرني صارخاً بأنه ذاهب إلى آخر الدنيا . فأجبته بأني أتمنى له سفراً سعيداً وعوداً حميداً ... عند ذلك ازدادت دهشته ، وعظمت حيرته ، واشتد ارتباكه ، وطلب من خادمه أن يتبعه ، ولكن الخادم — الذي كنت قد حذرته من مرافقته وتنفيذ أمره هذا — قال إنه لا يملك من الوقت ما يسمح له بمصاحبته ، وإنه يراعي مصلحتي وينفذ أوامري قبل أن يعنى بمصلحته وأوامره ...

وكيف يعقل أن نترك طفلاً يخرج وحده وهو يعتقد أن الناس جميعاً مهتمون بأمره ، حريصون على إرضائه ، مستعدون لخدمته ؛ ويظن أن السماء والأرض مكلفتان بصيانته وحمايته . لقد أخذ يشعر بضعفه ويحس بعجزه ، ويفهم أنه وحيد وسط أناس لا يعرفونه ، ولا يقدرونه ، ولا يحفلون به . ويتمثل المخاطر التي سيلاقيها ، والعقبات التي ستعترضه في طريقه ... ومع ذلك فقد ظل يلح في الخروج

... نزل الدرج ببطء وذهول . ودخل الشارع ، معزياً نفسه بأن ما قد يصيبه من سوء تقع مسؤوليته عليّ . وبقيت أنا أراقبه وأتابع حركاته . وما كاد يتقدم بضع خطوات حتى سمع أصواتاً تتحدث عنه وتصل إلى أذنيه عن يمين وعن شمال

— إلى أين يذهب هذا السيد الجميل وحده ؟

— إنه تائه يا صديقي . أريد أن أرجو منه الدخول إلى بيتنا

— أنظر يا صاحبي إليه جيداً ! ألا ترى أنه (شقي) طرد من بيت أبيه لشقاوته وعناده ؟ دعه يذهب إلى حيث يشاء

— حسن ! ليصحبه الله ! إني خائف عليه من المصير !!...

وما كاد سيدنا المتمرد يسير قليلاً حتى التقى بطائشين في مثل سنه تقريباً ، راحا يغيظانه وينهرانه ويضحكان منه ... وهكذا ، كلما تقدم وجد أصنافاً من المربكات وضروباً من المرهقات ... لقد وضحت لديه قيمته عند الناس ، وعلم أنه وحيدٌ معدوم الحماية محروم السند ، ورأى سخرية الناس منه ، واحتقارهم له ، وأدرك مع الدهشة العظيمة أن عقدة كتفه الثمينة ، وحاشية كُمّيه الذهبية ، لم تنفعاه كثيراً أو قليلاً ، ولم تحملا الناس على احترامه وتقديره ، أو تضطرهم إلى مراعاة رتبته ومقامه !...

وكنت في أثناء ذلك قد أرسلت صديقاً لي لا يعرفه ، ورجوته أن يتبعه على ألا يشعر به ، فاقتفى أثره مدة ، ثم استوقفه وراح يعظه ، ويهوّل له خطورة عمله ، ووقاحة فعلته ، ووخامة عاقبته حتى لان وارتدع ، وأحس بالخوف وشعر بالندم ، ورجع إلى مرتبكاً مذهولاً خائر العزم مطأطيء الرأس تعلوه صفرةٌ وترهقه ذلة

ولكي يتم أبوه الدرس ، ويجعله قاسياً لا يُنسى ، نزل في الدقيقة التي رجع فيها ابنه بحجة الخروج ، والتقى به على الدرج ؛ وأدرك الطفل أنه لا مناصَ من أن يقول من أين جاء ، ولماذا لم أكن معه ... لقد كان المسكين يود في تلك الدقيقة لو تفور به الأرض وتبتلعه ، على أن يجيب على تلك الأسئلة المحرجة ... ولكن أباه لم يطل في تعنيفه ولومه ، بل قال له : « عند ما تريد الخروج وحدك ، أخبر مربيك . وإن عدت إلى فعلتك التي فعلت فإنك ظالمٌ نفسك — لأني سأعدّك لصاً حقيراً ولن أقبلك ولا أسمح لك بالدخول في بيتي ! »

عبد الكريم الناصري

مسلمو رومانيا

للأستاذ يوسف ع . ولي شاه

مما يشرح صدر المسلم الناهض أنه إذا أطلق عنان تفكيره في مجال شئونه الاجتماعية يشعر بوجود أخ محبب إليه يجري في عروقه دم يحمل عقيدته ؛ فإذا صح هذا الإطلاق يرى أمامه مسلمي العالم ، ويبين هذا التخيل بوضوح كيفية انتشار الإسلام في كل بقاع الأرض

فمن نظر إلى خريطة القارة الأوربية مثلاً يلاحظ المسلمين في كل مكان فيها ؛ ويرى من الإحصاء أن عددهم يزيد تدريجياً يسار الخط المستقيم الذي ينزل من فنلاندا مخترقاً أوربا الوسطى إلى قرية سنت مجير بأسبانيا

يسر المرء حينما يرى أن مسلمي أوربا قد شاركوا أهلها مدنيتهم وجروا معهم في حياتهم النافعة المتمدينة مع محافظتهم على أصول الإسلام وروح التعاليم الخاصة به . ولكنه يأسف من جهة أخرى ، إلى حد كبير ، حينما يرى قوماً يريدون أن يهدموا حقوقهم مكتسحين حرية الفرد والجماعة . هذه مسألة تختص بالإمبراطورية الروسية وسنتناول بحثها في دورها

ومن بين هؤلاء الذين رقوا إلى مستوى المدنية الأوربية مسلمو رومانيا الذين يقطنون في منطقة اسمها دوبروجه موضع النزاع طوال عصور التاريخ

لمحة جغرافية عنها

هذه المنطقة المزدهرة التي يسكنها الأتراك المسلمون في رومانيا هي أحسن أرض وأوسع باب للحكومة الرومانية ، فتحت مصراعيها للعالم الشرقي والغربي معاً ، وهذه البقعة قلما يوجد لجمالها الطبيعي ضريب في جهة أخرى من أوربا ، على حين أن الشرق لا يعلم عن جمالها كثيراً ولا قليلاً ، وهي محاطة من ثلاث جهات بالماء ، ومن الجهة الرابعة تتاخمها هضبة كوادرى لاتر وغابتها ، ومحاطة بمياه الدانوب التي تحمل تحيات البلاد التي تخترقها ابتداء من منبعها الطبيعي في الغابة السوداء ، ومغمورة بمياه الدانوب التي تكسوها هي والبحر معاً لباس الزينة الطبيعية ، وتبدو كأنها نجمة تزات ثم منطقت خصرها ترغب في استقبال كل غريب شحب لون وجهه

أما أهميتها لرومانيا فهي كأهمية جزيرة القرم للامبراطورية الروسية ، تجري بين عشبها الطبيعي الأنهر الصغيرة التي تزيد البلاد جمالاً ؛ وهي : طاش آولي ، إسلاوا ، تابتا ، وتليتا . فيها البحيرات الخمس الكبيرة بمجمعها مكان واحد مثل : رازيم ، غولوويشا ، إسمه يكا ، سينوية ، وكيثوك ، وفيها أيضاً بحيرات أخرى : طاش آولي ، مامايا ، مانغاليا ، تكير كول ، وهذه الأخيرة بحيرة معدنية تستقبل كل عام عشرات الألوف من الأجانب المرضى يقصدونها للاستشفاء ... يفصلها عن البحر ممر إيفوريا بلدة جديدة أنشئت على أحدث طراز بشاطئ البحر الأسود للاصطياف فيها

فيها أيضاً جزائر مثل جزائر شاريه له ، بوكين ، داله رسكا ، إيفانه شت ، ومه لينوو . أما أهم المدن التي تواجه الأمواج الهائجة للبحر الأسود فهي من الشمال : سوليتا ، سنت جورج ، مامايا ، كوستنجة ، إيفوريا ، طوزلا ، منغاليا وبالجيق . ثم تنتهي حدود رومانيا جنوب بلدة كره نه بحوالي ثلاثة كيلات

الموارد الطبيعية للبلاد

يستخرج من أرضها الجير ومقره مراد خان وقانارا ، والرخام والأحجار المتينة لتشييد الأبنية ومقرها مورفاتلار ، طوطجا ، ماجين إغليتا وإيساقجة

الثروة الزراعية

هي منطقة سهلة معدة للزرع من أولها إلى آخرها ، يساعدها المناخ ، ككل مكان في أوربا الشرقية الجنوبية ، على نمو جميع النباتات . وأكثر ماينبت فيها من المزروعات القمح ، الشعير ، الشوفان الذرة ، الدخن ، الخردل ، الباقلاء ، عباد الشمس ، الدباء ، البنجر ، الجزر ، الخيار ، البطيخ ، الشمام ، البطاطس ، وسائر أنواع الخضروات . ومن كثرة اعتناء السكان بهذه المنطقة قد حالت اليوم إلى حديقة بجانبها بلابل تطرب وتغني لجمالها . ليس هذا نتيجة العمل فقط ، بل الفضل يرجع أيضاً إلى تربة هذه المنطقة لأنها ليست إلا امتداد التربة السوداء من سهول كه رسونه ي ، جزيرة القرم وآستر خان

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

ماذا بقى لفرنسا ؟

من كان يصدق أن فرنسا تقبل مثل هذه الشروط ؟ ومن كان يصدق أن وزارة المارشال بتان العسكرية تعتبر مثل هذه الشروط التى فرضتها ألمانيا على فرنسا شروط صلح شريف ؟ ولعله يتيسر لنا أن نقدر فداحة النكبة الفرنسية إذا فرضنا أسوأ الفروض ، ثم قارنا بين ذلك الفرض السيئ وبين ما قبلته فرنسا الآن

وأكبر النكبات القومية إطلاقاً هى احتلال أرض الدولة ، ونزع السلطة من يد حكومتها . وهذا ما فعلته ألمانيا مع فرنسا . ألم تحتل ثلثى أرضها وجميع شواطئها الغربية

فماذا بقى لفرنسا ؟ أهى تلك الرقعة المحدودة المحاطة بجيوش الاحتلال من جميع جهاتها ؟ أم هى السلطة التى منحت لوزرائها على أن يعملوا تحت المراقبة الألمانية النازية ؟ أم هى المستعمرات التى فصلت عن أمها ولم يبق بينهما من رباط ؟ أم هى القيود التى فرضت على الصناعة والتجارة والحرية فى القول والعمل ؟ ماذا بقى لفرنسا إلا موجة الحزن والأسى وندب الماضى المجيد والكرامة المهدرة ؟

أنصار الهزيمة

لقد بكى الكتاب فرنسا ممثلة فى باريس ما وسعهم البكاء ، وشكوا إلى العالم ما أصاب عاصمة النور والحرية ما وسعتهم الشكوى ، ولسنا أنصار هزيمة ، ولا شكوى ، ولا أنين ؛ ولكننا نتعلق بحبال قوية من الأمل ، لا بخيوط ضعيفة من الرجاء ؛ فلم تضع الحرب أوزارها ، ولم يمل العدو شروطه بعد ، بل إن الأمر ما زال تحت حكم الجنيه الذهبى ، والعزيمة الصادقة

وإذا كانت دعوة أنصار الهزيمة قد طنت على بتان وفيجان ودارلان ، فألقوا بسلاحهم ، فما زالت دعوة أنصار النصر تطغى على دى جول وبلانشار وتشرشل . فالأولون شيوخ من أبناء المدرسة القديمة التى حطم من عزمها الفشل القريب ، والأخيرون من أبناء المدرسة الحديثة التى يقوى من عزمها ما تجد فى متناول يدها من موارد هائلة تكفى لكسب النصر ، وما تجد فى دمائها من قوة يحبب إليها الموت على حياة تخسر فيها شرف بلادها وكرامتها

وإذا كان الاحتلال مسلماً بأمره اليوم ، ومفروضاً فيه أن يستمر إلى نهاية الحرب ؛ فلسنا نجد مبرراً واحداً يتيح لوزارة بتان أن تتخلى عن القتال ؛ اللهم إلا إذا كانت شهوة الحكم بضعة شهور ، وهى شهوة لا تلبث أن تموت فى نفوس أصحابها إذا انقضت

فى روسيا . هذه التربة لها أكبر فضل فى إنماء النباتات ، لأنها تحتفظ بالمياه من فصل المطر إلى فصل الجفاف ، وهذا الجفاف يعوض قلة المطر فى هذا الفصل الأخير

أما الثروة النباتية فنجد الغابات ولا سيما فى هضبة كوادرى لاتر أى ده لى أورمان كما يسميها الأتراك ؛ ونجد الأشجار على اختلاف أنواعها والحشائش التى ترعاها الماشية فى جميع أنحاء المنطقة

قيمة الثروة الاقتصادية : يستغل الشعب كل ثروتها ، ويديرها ويتصرف فيها كما يشاء . يستخرج من كل قسم فى دوره مادة أخرى وتباع بثمن يساوى ثلاثة أضعاف ثمن أصله . وتجار البلاد يصدرون كل سنة ملايين من الأطنان إلى خارج القطر من ميناء كوستنجه ، لأنه تخزن فيها كل ما يحمل إليها القطار من داخل البلاد والبواخر من الدانوب ومن الأنهر الأخرى

هذه المنطقة التى تلخص البلاد الرومانية فى نفسها تبلغ مساحتها ٢٣٫٢٨٥ كيلومتراً مربعاً ، وهى مقسمة إلى شطرين قديم وجديد

وكل شطر من القديم والجديد فى دوره مقسم إلى قسمين ، أى سنجاقين

فدوبروجه القديمة مثلاً لها سنجاقان : الأول طولجا ، والثانى كوستنجه ، وهما فى الشمال . ودوبروجه الجديدة أيضاً لها سنجاقان ولكنهما فى الجنوب ، الأول كاليافرا ، والثانى دور وستور . ومراكز هؤلاء السناجق كالآتى : طولجا مركزه مدينة طولجا ، وكوستنجة مركزه مدينة كوستنجة ، وكاليافرا مركزه مدينة بازارجقة ، ودوروستور مركزه مدينة سلسترة . وهذه مدينة محصنة لها تاريخ مجيد مع الأتراك إذ اشتركوا فيها والجنود المصريون فى الدفاع عن هجوم الروسيين عليها

« يتبع » يوسف . ع . ولى شاه

ساعة الشهوة وأتت ساعة التفكير فى المصير، ولا تلبث هذه الشهوة أيضاً أن تنقلب إلى ندم وتكفير ، حيث لا ينفع ندم ولا تكفير

شهوة الحكم

ونستطيع أن ندرك أثر هذه الشهوة فى نفس بتان إذا عدنا إلى ماضيه . فقد حصل على مجد كبير ، وتمتع باحترام لم يتمتع به فرنسى آخر ، فهو البطل الذى احتفظ بفردان فى أيدى الفرنسيين طول حرب سنة ١٩١٤ فكانت أخطر نتوء فى صفوف الجيوش الألمانية ، وكانت بمثابة المركز الذى أفسد عليهم سيطرتهم على خطوط مواصلاتهم . فهو رجل عظيم حقاً ، ولكن عظمته عسكرية فحسب ، فلم يتقلد مناصب الحكم ، ولم يكن رئيس وزارة مرة واحدة. أفلا يتوق مثل هذا الشخص إلى أن يربط عظمته العسكرية بعظمة سياسية ، ولا سيما وهو فى آخر أيامه ؟ أولا يتوق مثل هذا الرجل أيضاً إلى تخليد اسمه باشتراكه فى هذا الحادث الفريد فى تاريخ فرنسا ؟ وهو تخليد مؤلم ولكن له مبرراته وخصوصاً فى نظر الشيوخ.

فقد أصيبت الجيوش الفرنسية بخسائر فادحة ، وانقضى الأمل فى الدفاع عن فرنسا

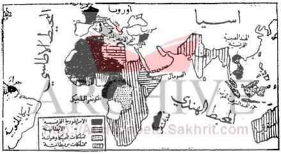
وهو عذر كاف يرضى الشيوخ . ولكننا واثقون أن بيتان سنة ١٩١٤ لو وضع فى مكان بيتان سنة ١٩٤٠ لما قبل هذه الشروط .

فالعزيمة التى ثبتت أربع سنوات وهى ترى بوادر الانحلال من حولها ، والعزيمة التى قضت على مائة ألف ألمانى فى سنة ١٩١٤ ترفض رفضا باتا أن تخضع لانحلال يصيبها فى ثلاثة أسابيع . ولكن هى الشيخوخة البالية ، وحياة الرفاهية التى قضاها بتان فى العشرين سنة الماضية بعيداً عن الحياة العسكرية جعلتاه ينظر إلى الموقف الحالى بمنظاره الأسود

الرأى العام الأمريكى

فالأمبراطورية الفرنسية غنية ومازالت سليمة ، والأمبراطورية البريطانية غنية وما زالت سليمة ، وأمريكا غنية ، وإذا لم تدخل الحرب اليوم فستدخلها غداً ؛ فإعداد الشعب الأمريكي للحرب يحتاج إلى سنوات ، والشعب الأمريكى الآن مستعد لقبول فكرة الحرب أكثر منه فى سنة ١٩١٤ ، وهو لم يدخل الحرب الماضية عقب هزائم الحلفاء الأولى ، بل استمر بعيداً عن ميدان القتال سنتين تقريباً ، فهل انقضت هذه الفترة ليقطع بتان الأمل ؟

والمعروف أن نقطة الضعف فى المحور الديكتاتورى هى إيطاليا فإن قوتها العسكرية ، ومعداتها الحربية ، وصبر جنودها على متاعب القتال ، وانكشاف سواحلها لا تقاس بمثلها عند الألمان، ولهذا كان من المقدر أن تصاب قواتها بخسائر فادحة تقضى على مقاومتها نهائياً وترغمها على التخلى عن ميدان القتال



تبين هذه الخريطة الممتلكات الفرنسية وما يجاورها من ممتلكات الدول المتحاربة

ما خسرته الحرب

أدى تسليم فرنسا إلى تغيير كبير فى الموقف، فلو استمرت فى الحرب لنقلت قواتها البرية إلى ممتلكاتها فى شمال أفريقيا ، وهى تقدر بالملايين مما يسهل الاستيلاء على ليبيا وحصر إيطاليا فى الشمال وألمانيا فى أوربا، وتنفذ سياسة الحصر البحرى والمناوشات الحربية البرية والجوية كلما سنحت الظروف إلى أن تنهار قوات المحور ؛ وعلى العموم لم يؤد تسليمها إلى تغيير خطير. فقد أعلنت الممتلكات الفرنسية تصميمها على القتال ، مخالفة بذلك قرار حكومتها ، فإن الجندى الفرنسى يأبى التسليم بمثل هذه الشروط ولا سيما إذا كانت قواته سليمة كما هى الحال فى تونس ومراكش وسوريا ولبنان

وخسرت انجلترا بقبول فرنسا لشروط الصلح شيئاً واحداً، وهو القوات المحاربة الموجودة فى فرنسا ، ولكن المستعمرات

لا تلبث أن تمد قوات غيرها ، وقد أعلنت بريطانيا استعدادها لإمدادها بالعتاد الحربي اللازم ، ومن مصلحة انجلترا أن تضم إليها في القتال هذه البقاع من الأرض لتحتفظ بمركزها العسكري في البحر الأبيض المتوسط ، فإن الشاطئ الأفريقي في غربه في يد الممتلكات الفرنسية ، وضمان موالاته لبريطانيا له أهميته لثلاثة أسباب

أولاً — الاستناد إلى قواعده في تونس والجزائر

ثانياً — ضمان حياد طنجة ، وهي البقعة المواجهة لجبل طارق وقد احتلتها أسبانيا في المدة الأخيرة بالاتفاق مع فرنسا ، وكانت من قبل بقعة محايدة

ثالثاً — تونس ، ولها أهمية ممتازة لأن استيلاء إيطاليا عليها معناه شطر البحر الأبيض إلى قسمين ، وبالتالي منع المواصلات بين شرق البحر وغربه ، أو منع الصلة بين قنال السويس وجبل طارق

الأسطول البحري

ويلي المستعمرات الفرنسية في الأهمية الأسطول البحري الفرنسي ، ولم ترد إلينا حتى الآن أخبار عما حل به ؛ وإن كان الجنرال دي جول صرح بأنه تلقى وعداً من قادته بمواصلة القتال . والمعروف أن هذا الأسطول لم يكن وحيداً ، بل كان موزعاً في عدة أماكن مع الأسطول البريطاني ؛ فإذا حاولت قطعه الانسحاب وتنفيذ أوامر حكومة بوردو ؛ فإن الأسطول البريطاني يتولى إغراقها حتى لا تكون تحت سيطرة الأعداء

وفي اعتقادنا أن ربابنته لا يقلون وطنية عن الألمان ، فإذا كان الألمان قد فضلوا إغراق أسطولهم في مياه سكابافلوا في سنة ١٩١٤ ، عند ما شعروا بأنه سيسلم إلى انجلترا ، فإن الفرنسيين لن يتركوه غنيمة سهلة لأعدائهم . ولاشك أنهم يفضلون القتال إلى جوار حلفائهم الإنجليز على إغراقه أو تسليمه ؛ ولهذا فمن السهل أن ندرك أنه سينضم إلى الأسطول البريطاني في دفاعه عن قضية الديمقراطية ، ولإعادة حرية فرنسا إليها ، فإن نصر بريطانيا الآن هو الأمل الوحيد للفرنسيين الأحرار

والأسطول الفرنسي أسطول قوي حديث تمتاز وحداته بسرعتها ، كما يمتاز رجاله بفهم دقيق لفنون القتال البحرية . به مدرعات خفيفة لا يوجد ما يماثلها في أساطيل الدول الأخرى ، وبه غواصات ضخمة تستطيع تحمل السير في المحيطات ؛ ويكفي أن نذكر أن حمولة الغواصة سيركون مثلاً ٢٨٨٠ طناً بينما الغواصات الأخرى قد لا تصل إلى نصف هذه الحمولة

ويتكون الأسطول الفرنسي من القطع الآتية :

سفن قتال	٧
حاملات طائرات	١
مدرعات ثقيلة	٧
» خفيفة	٤٣
مدمرات	٦٩
غواصات	٨٧
المجموع	٢١٤

وعد بالنقض

وأشرنا في مقالنا الماضي إلى المناورة البارعة التي أذاعتها الحكومة البريطانية حينما أعلنت استعدادها لاتحاد الجمهوريتين البريطانية والفرنسية ، وقد أنتجت هذه المناورة ، فلم يتيسر لمندوبي هتلر أن يعلنوا فرنسا بعزمهم على الاستيلاء على الأسطول الفرنسي ، بل اكتفوا بإعلان تجريده من السلاح ، كما أعلنوا أنهم سيتركون بعض قطعه للدفاع عن المستعمرات الفرنسية

وبديهي من تتبع الوعود والاتفاقات النازية أن هذا الكلام لا يتجاوز الورق الذي سطر عليه ، ولكن الغرض الأساسي منه هو استدراج هذه الوحدات إلى مناطق السيطرة الدكتاتورية ، فإذا أصبح في متناول يدهم تأتي قصاصة الورق ويشترك الأسطول في الأعمال الحربية الدكتاتورية ، فإن ألمانيا وإيطاليا في أشد الحاجة إلى مثل هذا الأسطول لتعزيز قوتهم البحرية ، وليس من المعقول أن تهددهم بريطانيا بأسطولها ويكون تحت سيطرتهم أسطول يتركونه تنفيذاً لاتفاق لا يوجد ما يرغمهم على تنفيذه ، ولاسيما أن سوابق هتلر تدل على أنه إذا وعد اليوم وعداً ينقضه غداً

ويمكننا أن نرى فى شروط الهدنة نفسها بوادر هذا النقض فهى تقول فى المادتين الثامنة والتاسعة : إن الأسطول يستخدم فى الرقابة الساحلية والتقاط الألغام .

ومعنى هذا عسكرياً أن الأسطول الفرنسى يستخدم فى الأعمال الحربية لسببين :

١ — إن شواطئ فرنسا كلها فى أيدى الألمان ، فهو فى هذه الحالة يدافع عن قواعد ألمانية من حق بريطانيا ضربها ومن واجب الأسطول الدفاع عنها

٢ — تتجاوز الرقابة الساحلية الأعمال الإقليمية لأن أحد أركانها مراقبة حركات القوات المعادية وتدميرها كلما سنحت الظروف .

وهذا يفسر أن ألمانيا وضعت شروطاً مطاطة تبيح لها استخدام الأسطول على أوسع صورة ممكنة .

الأسطول الجوى

ننتقل بعد هذا إلى أداة قتال أخرى يسهل نقلها ، وهى الأسطول الجوى الفرنسى . فمن الراجح أن كثيراً من أسرابه ستغادر قواعدها للانضمام إلى قوات بريطانيا ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن بعضها قد غادر مطاراته فعلاً . فإن تمرد الضباط الفرنسيين على قرارات حكومة بوردو شمل جميع القوات والساسة وتناول المسيو رينو رئيس الوزراء السابق مما لا يدع مجالاً للشك أن كثيرين تبعوه مقتنعين بصحة رأيه

وفى شمال أفريقيا ؟ !

ويجدر بنا ألا نختم هذا المقال قبل أن نقول رأينا عن الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا ، فهو موقف يستدعى التفكير . فالوعود الدكتاتورية لا يحدها اتفاق ولا قانون، وأحلام موسولينى بالأمبراطورية الرومانية حية زادتها الانتصارات الأخيرة قوة ، فإذا كانت حركاته العسكرية فى أفريقيا نائمة الآن ، فلسببين :

أولها : ضعف استعدادها فى ليبيا بسبب اشتغالها فى الحرب فى أوربا ، ووجود خائر العرب المتمردين فى ليبيا

ثانيهما : حر الصيف وطول الصحراء ، وخلوها من الماء مع شدة الحاجة إليها لرى عطش الجنود ، وكثرة المقادير اللازمة لرى هذا العطش فى الصيف عنه فى الشتاء

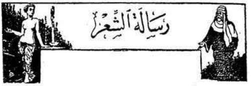
فإذا زال هذان السببان فلن نلبث أن نرى الحركات على أشدها فى شمال أفريقيا مستندة إلى قواعد إيطاليا فى ليبيا . وهذان السببان لا يلبثان أن يزولا بزوال الصيف وقدوم الشتاء

فقد خلا الميدان الأوربى من القتال ، فيسعى الأسطول الإيطالى لنقل القوات الألمانية والإيطالية إلى ليبيا بتلك الأعداد الكبيرة والمعدات الهائلة .

وطبعاً يحرص الأسطول البريطانى على عرقلة هذه الصلات، ومنع وصول القوات إلى ليبيا

فإذا تيسر لقوات الحلفاء الاستيلاء على ليبيا قبل قدوم الشتاء فإن الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا يصبح مضموناً ولا يقلق الناس إلا إغارات الطائرات وهى كما قلنا لا توصل إلى نصر عسكرى حاسم .

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة



أنشـــــودة

للأستاذ خليل شيبوب

سكنتْ مابين جفنيك السماء   وكستْ خديْك أنوار الشفق
فإذا وجهُك رفافُ الضياء   بُهِتَ القلبُ إليـه وخفق
راعَ قلبي الحزينْ
فرطُ هذا الحنينْ
آه لو تعلمينْ

حسنُك المُبدعُ من سحرٍ ونورْ   عطّرَ الدنيـا وحلاّها ليا
فإذا غيرُ الهوى فيها غرورْ   وسوى حسنِك يبدو داجيا
هُوَ لحنُ السنا
أنشـدته المنى
فسبى الأعينـا

أنصتي فالليـلُ يهفو عاطراً   ويموجُ الصمتُ فيه والصدى
واسمعي رفرفةَ القلبِ به   طائراً بالدمعِ غنّى وشـدا
خافقاً في الظلامْ
حائراً مستهـامْ
يكتوي بالغرامْ

كلُّ من يهوى سوى قلبي يرى   في الورى معبودةً يألفُهـا
فتعالَيْ إنَّ لي أمنيةً   أتُرى قلبُـك لا يعرفها
أنتِ روحي والرجاءْ
أنتِ دائي والدّواءْ
وشـقائي والهناءْ

إيه يا مُنيـةَ عمري حقّقي   مرّةً في العمر لي حُلْمَ الحياه
آه من عينيكِ كم قطّعتا   مهجتي ، أوّاهُ من عينيكِ آه
سأموت ... اسلمي
فاسمعـي وافهمي
وانظُـري وارحمي

خليل شيبوب

بين عهـــدين

الأديب فؤاد بليبل

يا زمانَ الهوى وعهدَ الوصالِ   مَنْ مُعيدٌ تلكَ الليالي الخوالي
حين كانَ الفؤادُ حُرًّا طليقاً   ناعمَ البالِ خاليَ البلبالِ
طائرٌ وكرُهُ على كلِّ غُصْنٍ   وهواهُ ملءُ الربى والتلال
غيرُ وقفٍ على غرامٍ وحيدٍ   أو أليفٍ فردٍ وحُبٍّ حلال
أو مثالٍ من الجمالِ فريدٍ   فلَهُ في الجمالِ ألفُ مثال
شاعرٌ هامَ بالمحاسنِ حتى   باتَ في الوجدِ مضربَ الأمثال
ينشدُ الحسنَ حيثُ لاحَ لعينيـ   ـه أفي البيدِ أو أعالي الجبال
يتصدّى له ولو صِينَ بالبيـ   ـضِ سناهُ وحُفّ بالأهوال
يتصدّى له على كلِّ صدرٍ   كاعبِ النهدِ غيرِ سهلِ المنال
وعلى كلِّ مَبسمٍ يشتهيه   أو قوامٍ مُرنّحٍ ميّال
سابحٌ في الفضاء يمرحُ زهواً   بين حلٍّ على الهوى وارتحال
يتغنّى على الأراكِ طَروباً   مَرِحَ النفسِ مُطمئنَّ البال
همُّهُ في الحياةِ أن يطرحَ الهمـ   ـمَّ بعيداً لعابدي الأموال
مُستخفًّا بالعيشِ جدَّ قنوعٍ   فهْوَ في عُسرِه سعيدُ الحال
يشتكي الفقرَ والكفافَ سواهُ   وهْوَ بالفقرِ والكفافِ يُغالي
تملكُ الأفقَ والنجومَ يداهُ   فلماذا يشكو من الإقلال ؟
كلُّ ما في الوجودِ يدعوهُ للصّبـ   ـوِ ويحدو على الهوى والوصال

فَجَمالُ الرَّبيعِ والزَّهْرُ والدفْـ ـءِ وسِحْرُ الأسْحَارِ والآصال
وخريرُ الغُدْرَانِ وَهْيَ شَوَادٍ واعْتِناقُ الأدْوَاحِ والأدْغال
كلُّ ما في الوُجُودِ مِلْكُ يَدَيْهِ مِنْ جَمَالٍ وَرِقَّةٍ وَكَمَال
فَلِمَنْ هذه النُّجومُ الدَّرارى ؟ وَلِمَنْ تِلْكُمُ الشُّمُوسُ اللآلى ؟
وَلِمَنْ هذه الوِهادُ الزَّواهى ؟ وَلِمَنْ تِلْكُمُ الجبالُ العَوالي ؟
وَلِمَنْ هذه السَّواقى السَّواقى دافِقَاتٍ بالسَّائغِ السَّلسال ؟
وَلِمَنْ ذلك الفَضا المُتَرامى وَمُحَيَّا الضحَى وَوَجْهُ الهلال ؟
وَلِمَنْ هذه النَّسائمُ تَسْرى سَرَيَانَ الحياةِ فى الأوْصال ؟
وَلِمَنْ هذه الطُّيورُ الشَّوادى ؟ كلُّ هذا لهُ فَكَيْفَ يُبالى !
هكذا كان فى عهود صِباهُ ذَا خِلالٍ أُعْجِبْ بها من خلال
ذهبيُّ الأحلامِ غيرُ جَزُوعٍ رَابِطُ الجأشِ عبقريُّ الخيال
كلُّ يومٍ لهُ غَرَامٌ جَدِيدٌ وَجُنُونٌ بِبَارِقٍ مِنْ جَمَال
وَفَضَاءٌ مِنَ الأمانِيِّ عَذْبٌ يَتلاَقَى فيه الهدَى بالضَّلاَلِ
وَعُهُودٌ مِنَ الهَوَي خالداتٌ وَلَيالٍ أُحْبِبْ بها من ليال
وَمَجَالٌ مِنَ المُجُونِ ظَرِيفٌ أين منه بَهَاءُ كلِّ مَجَال
وَرَنِينُ الأوْتارِ تَحْسَبُهُ السِّحْـ ـرَ، وَسِرْبُ المَهَا وَوَحْيُ الدَّلال
وَنُزُولٌ فى كلِّ يومٍ بِرَوْضٍ عَطِرِ الزَّهرِ سُنْدُسِيِّ الظِّلال
وَفُؤاد بما يَكُنُّ سعيدٌ صادقُ الوَجْدِ باسِمُ الآمال
واصْطِحَابُ الكِعَابِ مِن كل خَوْدٍ جَمَّةِ اللُّطفِ مِنْ ذَوَاتِ الحِجَال
يتناقلْنَ شِعْرَهُ هَزِجَاتٍ هَزَجَ الوُرْقِ فى ظِلاَلِ الدَّوالى
وَكُؤُوسُ الطِّلاَ تُدَارُ عَلَيْنَا مُشْرِقَاتٍ بالبَابِلِيِّ الزُّلاَل
وَعُيُونٌ صَوَامِتٌ نَاطِقَاتٌ وَقُدُودٌ مَيَّاسَةٌ فى اعْتِدَال
وَنُهُودٌ وَلاَ تَسَلْ عَنْ جَنَاها مُثْقَلاتٌ بالحُسْنِ غيرُ ثِقَال
ذَاكَ عَهْدٌ مِنَ الشبابِ تَوَلَّى لَيْتَهُ لَمْ يكنْ رَهِينَ زَوَال
وَفَتًى صِيغَ من شُعَاعٍ ونُورٍ فَبنَى ، فاغتدَى من الصَّلْصَال
وإذا بى قد اسْتَحَلْتُ إلى غَيْـ ـرِى وَجُرِّدْتُ مِنْ قَدِيمِ خِلاَلى
أنكَرَتْنى نفسى وَأنكَرْتُ مابى مِنْ جَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ وَاختِيَال
لَمْ أعُدْ ذَلِكَ القَنُوعَ عَلَى الْـ ـحُبِّ ولا ذلكَ الطَّرُوبَ الخالى
وإذا بى وَقَدْ غَدَوْتُ غَرِيباً عَنْ شُعُورى وعن رَقِيقِ خِصَالي
وإذا المَالُ لا يُعِيدُ قُنُوعى مِثْلَمَا كان أوْ يُزِيلُ مَلالى
وإذا الدَّهرُ لا يردُّ صفائى وانقيادى لِصَرْفِهِ وَامْتِثَالى
وإذا الكَسْبُ لا يُخَفِّفُ مابى وإذا اليُسْرُ لا يُحَقِّقُ فالى
وإذا النهرُ لا يَبُلُّ غَلِيلى لا ولا الكونُ كله لو غدا لى
وإذا الهَمُّ يَحْتَوِينى وَيأبَي طَمَعِى الجمُّ أنْ يَفُكَّ عقالى
وإذا الرَّوْضُ قد تعرَّى مِنَ الْـ ـحُسْنِ فلا يرتدى سِوَى الأسْمَال
وإذا الفَجْرُ لَمْ يَعُدْ فيه ما كنـ ـتُ أراهُ مِنْ رَوْعَةٍ وَجَمَال
وإذا الأُفقُ ضَيِّقٌ مُكْفَهِرٌّ وإذا البدْرُ شَاحِبٌ فى هُزَال
وإذا الزهرُ والخمائلُ والوُرْ قُ تَنَكَّرْنَ لِلفُؤادِ السَّالى
وإذا الكونُ خِسَّةٌ وَرِياءٌ وَمَيادِينُ شَهْوَةٍ وَاحتِيَال
وإذا لَم يَعُدْ يُشَنِّفُ سَمْعِى مِنْ غِنَاءٍ سِوى رنينِ (الرِّيال)
وإذا بى وقد رجعتُ إلى الطيـ ـنِ وَأصْبَحْتُ مِثْلَ باقى الرجال
حَدَّثُونَا عَنِ الزَّواجِ حَدِيثاً حَسَنَ السَّبْكِ شَائقَ الأقوال
فَأخِذنا بِبَارِقٍ من سَنَاهُ وَسُحِرْنَا بِمَنْطِقٍ خَتَّال
وَبُهِرْنَا بِمَظْهَرٍ مِنْهُ عَذبٍ وَمُنِينا بِمَخْبَرٍ قَتَّال
فَوَقَعْنَا فيما خَشِينا وكنَّا عَنْ مَرامِيهِ فى غِنًى واعتزال
فاضطُرِرْنا إلى الخضُوعِ وَبُؤْنَا مِنْهُ بالهمِّ والأسَى والنَّكال
قَدْ طَمِعْنَا فى كلِّ شىءٍ رَخِيصٍ فَفُجِعْنَا بكلِّ شيءٍ غال

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

حكم استئنافياً بتغريم عبد العزيز شحاته البقال بالسيدة بالقضية نمرة ١٨٨ تسعيرة نمرة ٤٠ استئناف ١٦٨١٩ بجلسة ٤ يونية جنيهاً لبيعه كبريتاً بأزيد من التسعيرة



بواطن وظواهر

... وعندنا فنانات أيضاً

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

لا شك فى أن المرأة إذا أخلصت للفن سادت فيه ، ولكن المرأة تدخر فنها دائماً لنفسها ، فهو سلاحها فى الحياة لا تلقيه للناس لأنه لا سلاح لها غيره . ولكن الحياة ترغم بعض النساء على الفن ، فمن رضى الله عنها عندئذ أخلصت لفنها وأطلقت نفسها فيه فسمت ، وإلا فهي مذبذبة بين الفن وحياة الواقع ، فهى ككل من يحترف حرفة يأكل منها الرزق حلالاً وإن كان يرجو النجاة منها ...

وفى مصر — كما فى كل بلد — كثيرات من محترفات الفن وإلى جانب هؤلاء قليلات من المخلصات

السيدة منيرة المهدية

حرفتها الغناء وفنها التمثيل . وأستطيع أن أقول بلا تحفظ إنها الممثلة الأولى فى مصر . وليس عجيباً أن تكون كذلك ، فقد قضت منيرة زمناً كانت فيه الغادة المصرية الأولى ،

وكان سعيداً من يحظى منها بتحية ، ومحسوداً من تناجيه بكلمة راضية . ولم يكن جمهور منيرة من التلاميذ ولا الصبيان ، وإنما كان من كبار الناس الظاهرين فى البلد ، الناجحين فى أعمالهم المفروضة أشخاصهم على الشعب . وكان على منيرة أن تسوس جمهورها ومن وراء جمهورها من أفراد الشعب ، وكان عليها أن تكسب رضاءهم جميعاً ، وعطفهم جميعاً ، وإعجابهم وتحمسهم . ولم تكن منيرة لتستطيع هذا إلا بالتمثيل ، فهو الذى كان يمكنها من أن تضحك للنكتة السخيفة إذا ألقاها باشا من الباشوات جبراً لخاطره وستراً لسخفه ، والتمثيل هو الذى كان يمكنها من أن تلتوى تدللاً على مثر من الأثرياء إذا هجر صالتها أو مسرحها زمناً فلم يتردد ولم ينفق فى البار ما يقوم بنفقات الفن ... فإذا هو بعد التواءتها مقيم فى البار ، آناء الليل وأطراف النهار ... يريد أن يسترضيها

منيرة ممثلة هائلة : وهى مغنية ممتازة إذا غنت ، ولكنها لا تغنى كلما غنت

سمعتها يوماً فى رواية « المندورة » ، وكانت تنشد اللحن الأخير من ألحان الرواية ، وقد عرف الجمهور أن هذا اللحن هو اللحن الأخير فأخذ الناس يتسللون مغادرين المسرح ، ووقف بعضهم يستمع اللحن متهيئاً للخروج بعد الفراغ منه ومتحرجاً من الخروج قبل الفراغ منه ... وإذا بمنيرة « تنسجم » فجلس الذين كانوا واقفين ، وعاد الذين كانوا يتسللون خارجين ، وفاضت فى الحضور جميعاً نشوة من الطرب نفثتها منيرة سحراً ... وكنت أنا من أشد المنتشين بغنائها ، وكنت أحملق فيها وأنا أسمعها فكنت أراها كأنما هى سكرى تترنح فى ثبات رهيب ... إى وحياة تلك الليلة كان ثباتها فى سكرتها تلك رهيباً ...

الآنسة أم كلثوم

فتاة حادة النفس كأنها فتى ، هبطوا بها من الريف إلى القاهرة ليستغلوا مواهبها ، فتيقظ عقلها ، والتهب تفكيرها رغبة منها فى المحافظة على كيانها ، وفى تحقيق أحلامها ، وكان من آثار هذا أن اختلق عقلها سوء الظن بالناس دفاعاً منها عن مجدها واسمها ونفسها ، وصاحَبَ هذا شيء من الحرص الشديد على مالها ، كما داخلها بعد ذلك شيء من الاعتداد بمكانتها

هى فنانة بالفطرة ، تحب الجمال على نحو ما يحبه الرجال الفنانون ، وهى تنحدر فى ذلك إلى ما فوق نزعات المرأة حتى لترتج ارتياحاً وانبهاراً إذا رأت فتاة حسناء . وليست النساء هكذا ، فالمرأة تغار من المرأة ، ولكن أم كلثوم قد قتل شغفها بالحسن هذه الغيرة فى نفسها ...

مغنية شجاعة لا تهيب من ألحان القصبجى على ما فيها من قفزات وتسلقات وانحدارات وتعقيدات جبارة

وهى مغنية طيعة ، إذا ساقها فنان فياض مثل زكريا أحمد ، أدت له بصوتها الممتاز الكامل كل ما يجول فى خاطره من صوت

بكل ما يضطرم فى نفسه من إحساس وعاطفة

ولكنها مغنية مستخفة بكل شيء ، إلا صوتها ، فكم أذاعت على الناس أخيراً من ألحان ليس فيها إلا زعيق وصراخ ، معتمدة فى ذلك على أن الناس يسمعونها حتى إذا قالت « ريان يا فجل » !

حرام عليها أن تفعل هذا ، ولكنها تفعله لأن بعض الملحنين غال ، وبعضهم رخيص ، والرخيص يسد أحياناً مسد الغالى ، وأين هم الناقدون والذين يفهمون ؟

وهى أيضاً ممثلة خفيفة الروح، غنية المشاعر، مجتهدة الحس... وهى أيضاً ناقدة سريعة الفهم صادقة التعبير عما تفهمه ... ولها استعداد جامح نحو الفلسفة والتعمق فى التفكير ، ولكن الظروف لم تهيء لها من يعاونها فى هذا الاتجاه . وهى تشعر بتعطشها إلى هذه الناحية ، فتقرأ وتحفظ وتطلع ... ولكن قراءتها وحفظها واطلاعها أشتات ، وإن كثرت ، فلا رابط بينها على أى حال . إنها فنانة مشبعة

الآنسة سهير القلماوى

صورة نسوية جامعية للأستاذ محمد عبد الوهاب : هو له فن ، وهى لها فن ؛ ولكن لكل منهما نفساً تشبه نفس صاحبه ، وروحاً تشبه روحه

الآنسة « مى »

لم أرها إلا مرة واحدة، سمعتها فيها تلقى محاضرة بالفرنسية عن الشرق والغرب ، وأنا محصولى من الفرنسية تافه ، ولكنى مع هذا كنت أفهم ما كانت تقول الآنسة مى ، ولم يكن هذا ليحدث ، إلا لأنها كانت تقول كلاماً خارجاً من أعماق نفسها ، فهو إذا قيل لم يكن اللسان وحده هو الذى ينطق به ، وإنما كانت تقوله مع لسانها عيناها وجوارحها جميعاً ، وأعصابها وروحها جميعاً

ولا ريب أن لهذا الانجراف الروحى وراء الأفكار والخواطر أثراً فى النفس والأعصاب . ولا ريب أن الآنسة مى تعانى آلاماً كثيرة يجرها عليها هذا الصفاء وهذا التدفق ...

كان الله فى عونها من أحلامها ووثباتها ، وانحباس الفكر فى نفسها ، وانطلاق الفكر من نفسها ...

أين هى الآن ؟ !

الآنسة جميلة العلايلى

كاتبة وشاعرة وقصاصة حارة هى أيضاً ، وصادقة ، ولكنها عاصفة صغيرة ... وهذا شأن الهواة جميعاً .

الآنسة ابنة الشاطئ

استطاعت أن تلفت الأنظار إليها بسرعة . فملأت الدنيا كتابة عن الريف والفلاحين وحياتهم . وهذا الموضوع لا شك فى أنه أشد الموضوعات المصرية خطورة ، وقد كان لابنة الشاطئ فيه جولات مجيدة

ولكنى سمعت أنها « دحلابة » وأن لها برنامجاً رسمته لحياتها وهى تريد أن تحققه، وهى تستعين على تحقيقه بالكتابة . وهذا إذا صح آخذه عليها ، لأن من عادة البرامج دائماً أن تكتف الفن وأن تقيده ، وأن تطمسه أحياناً ، وأن تدس إليه الأباطيل و « التزاويق » الفارغة ...

اسمها « عائشة عبد الرحمن »

السيدة أمينة محمد

ليس فى مصر راقصة مقتنعة بأن الرقص فن جميل إلا أمينة محمد . فكل الراقصات المصريات يحسبن الرقص احتيالاً على تعرية البدن وإظهار محاسنه وتناسقه وليونته ، ولكن أمينة تتخذ من جسمها وسيلة تعبر بها عن معان يندر أن تكون بينها وبين الغريزة الجنسية صلة . وكما أنها تستعين على هذه المعانى بجسمها فهى تستعين عليها أيضاً بوجهها .

وإن لها عينين تقول بهما كل ما يجول فى نفسها ، كما أن لها شفتين تؤكد بهما ما تقوله عيناها . ولو كان جمهورنا فى مصر ينظر إلى الراقصة من أولها إلى آخرها ولا يقف نظراته على مواطن خاصة منها لانفردت أمينة محمد بالرقص فى مصر . ولكن جمهورنا كما نعرف

ولست أدرى لماذا لم يفكر نجيب الريحانى فى أن يضم إلى فرقته هذه الفنانة التى تملأ مكان الراقصات الأوربيات اللواتى يعرضهن أحياناً ، كما أنى لا أدرى كيف تهمل الفرقة القومية الرقص فلا تدخر فتاة مثل أمينة تمثل فيها هذا الفن

ولكنى نسيت أن الفرقة القومية لها ناسها ، وبعثاتها ، وهى لا تعترف بأمينة ولا غيرها ممن كافحن فى مصر وأوربا وأرغمن أهل الغرب على احترامهن وتقديرهن

السيدة فردوس محمد

أستاذة لها دراستها الخاصة فى الحياة، ولها من وراء هذه الدراسة فنها الخاص وأسلوبها الخاص

لا أذكر أنى رأيتها قبل «هوجة» الأفلام المصرية الأخيرة، ولا أذكر أنى رأيتها فى دور إلا وامتلأت اقتناعاً بها

مصرية صميمة فى نظراتها، وفهمها وتعبيرها. لا أظنها تنكل عن دور مصرى عصرى، إن لم يكن تمثيلاً فتعليما ... أى أنها تعلمه لغيرها إذا لم يكن الدور يليق بها

السيدة احسان الجزايرلى

«أم احمد»

ممثلة كوميدية يقول النقاد عنها إنها شعبية، ويقصدون من وراء قولهم هذا أنها ليست أرستقراطية. والواقع أن الأرستقراطية فى الفن ليست شيئاً غير ثقل الدم والظل. وقد أنقذ الله «أم احمد» من هذا، فهى تمثل كما تنطلق القنبلة، فتنفجر فى النفوس ضحكات وقهقهة

وهى لا تريد من الناس شيئاً أكثر من ذلك. وقد تركت الأرستقراطية لغيرها.

السيدة مارى منيب

معلمة إحسان الجزايرلى. أو هى «أم أحمد» القديمة

وهى تعمل اليوم عند الريحانى، وهو يعرف كيف يستغلها، وهى تعرف كيف ترضيه على ما فيه من قسوة فى عمله وملاحظاته، كما أنها تعرف كيف ترضى جمهوره على ما تربى فيه من براعة الذوق

فنها غير محدود لأنها لا تقلد ولا تتقيد، وإنما هى تلون نفسها حسبما يتطلب دورها، وهذا أقصى ما يطلب من الممثل أو الممثلة

ميمى وزوزو شكيب

لم أكن أصدق أن هاتين السيدتين ستستطيعان أن تحتفظا بمكانتهما على المسرح أكثر من موسم واحد. ولكن الريحانى ثبتهما فكانتا من كرامانه

هما فى الأصل تغيظان وتكيدان ... ولكنهما اليوم تضحكان ... على أن الذى يتأملهما ويتأمل ضحكه منهما يرى أنهما لا تزالان ...

الآنسة أمينة رزق

بطلة الأستاذ يوسف وهبى وتلميذته وذراعه اليمنى. فتاة لها «شخصية» تجبر على الاحترام. فيها براءة ظاهرة تمازجها أمارات الحكمة

لا بد أن تكون أمينة رزق فيلسوفة إلى جانب ما هى ممثلة

السيدة علوية جميل

سيدة مصرية ناضجة، رزينة، عميقة هادئة، وأخلاقها هذه تظهر فى تمثيلها، والأستاذ يوسف وهبى يعرف فيها هذه الأخلاق فهو يسند إليها ما يلائمها من الأدوار فتؤديها على خير ما يمكن أن تؤدى به ...

يراد بها أحياناً أن تمرح، ولكنها إذا مرحت ظهر لمن يرى أنها تستثقل المرح. وقد يرجع ذلك لسبب لعله من خصائصها هى ...

فتحية ومفيدة أحمد

أختان مغنيتان. فتحية الكبيرة ومفيدة الصغيرة. كلما رأيتهما أو سمعتهما حسبتهما أزهريتين، مع أنى أعلم أنه لا صلة للأزهر بالنساء. وقد يكون ذلك لأن أباهما كان شيخاً وأنهما استقتا فنه وروحه وحركاته وإشاراته

وهما قريبتان جداً من كل روح مصرية. وهما نصدقان كثيراً فى غنائهما لأنهما تحبان الغناء حقاً؛ وقد كانت كبراهما فتحية من ربيبات سيد درويش اللواتى كانت تهتز لهن روحه ...

عزيز أحمد فهمى



بعيداً عنا

في مجاهل الكون

للدكتور محمد محمود غالى

الموجات الكهربائية وباطن الأرض — الحواس أجهزة طبيعية — الكلب هول — الحمام الزاجل — في طريق تعرفنا صفات محتملة لغيرنا من الأحياء على الكواكب .

لو أن أحداً من الناس قال لنا إنه يستطيع ، وهو فى طائرة ، أن يعرف هل يُخفى باطن الأرض التى يعلوها بترولاً أو ماء ، ويعرف عمق الطبقة الموجود فيها هذا البترول أو هذا الماء ، ويعرف، فوق ما ذكرنا، أيكون الماء الموجود تحت طبقة الأرض التى يطير فوقها ملحاً أم صالحاً للشرب ، دون أن ينزل من طائرته على سطح الأرض ، ودون أن يلجأ إلى حفر آبار فيها ، لقلنا فى أنفسنا إن قوله هذا حديث خرافة

ذلك أننا معتادون دائماً أن نصدق ما هو فى حدود حواسنا وأن نؤمن بما تستطيعه هذه الحواس، فتفكيرنا مرتبط بمقدرتها واستيعابنا الكون متعلق بعملها ، وكثيراً ما ننسى أنه بدراسة طبيعية فى الكون ، وما ينتج عنها من ابتكار أجهزة دقيقة ، نستطيع أن نجد وسيلة لامتداد حواسنا وسبيلاً لاتساع نطاق أعمالها ، بحيث نصبح فى ظروف عديدة قادرين مثلاً على أن نرى ما كنا عاجزين عن أن نراه، ونسمع ما كان يستحيل علينا سماعه .

ولا يدهش القارئ بعد ذلك من استطاعة الطائر أن يعرف ما هو دفين فى باطن الأرض ، فى هذه المسألة بالذات وفيما يخص البترول أو الماء يجح العلماء فى ظروف خاصة نجاحاً يبعث على الدهشة ، وبوسائل علمية حديثة وأجهزة طبيعية دقيقة توصل العلماء إلى معرفة ما تخفيه الأرض من بترول أو ماء دون اللجوء إلى وسائل الحفر المعروفة ، وليس المجال هنا لندخل فى تفاصيل هذه المسألة التى يتوافر على دراستها بالتفصيل كل من أتيحت له فرصة دراسة علوم الطبيعة الأرضية Physique du Globe فقد بات من المعروف أنه يمكن بدراسة خاصة ، يقوم بها المهندس وهو على سطح الأرض أو بعيداً عن سطحها ، أن يستنتج الشيء الكثير عن باطنها ، بمعنى أن دراسة طبيعية فوق الأرض تؤدى إلى معرفة جيولوجية فى جوفها ، تكون فى كثير من الأحيان عظيمة الأثر

إنما أحدث القارئ فى هذا عندما ننتهى من استعراض الحلقات العلمية الكبرى التى توصل إليها الإنسان فى عصرنا الحديث مما له اتصال بتفكيره ، عندئذ أحدثه فى مسألة أتاح لنا الفلاح المصرى معرفتها ، وذلك بالإنفاق على بعثنا فى الخارج ، وأتاحت لى الظروف بعد العودة القيام ببعض الأبحاث[1] عنها ، وذلك مع أحد المؤسسين للطريقة المعروفة باسم : « الطريقة الألكتروديناميكية » الخاصة بالتنبؤ بما فى باطن الأرض

وهذا الباحث الذى صادفته فى مصر منذ أربعة أعوام ، واشتركت معه فى القيام بأبحاث علمية تدور حول هذا الموضوع هو « هنريش لوفى Heinrich Lövy » من « فينا » ، وهو الذى قام بتجارب علمية قيمة أجراها من منطاد « زبلن » المعروف حيث كان يقوم ببعض التجارب الكهربائية الخاصة بهذا الموضوع فى أثناء رحلات هذا المنطاد المتعددة بين ألمانيا وأمريكا

***

إنما ذكرنا هذه الأبحاث التى قام بها « لوفى Lowy » منذ سنة ١٩١٠ والتى ساهمنا فيها بقسط يسير فى السنين الأخيرة لغرض واحد ، ذلك أننا نريد من القارئ أن ينظر إلى ما نملكه من الحواس النظرة العلمية الصحيحة التى نفهمها منها ، وألا ينسى - كما يحدث لكثير منا - أننا وإن كنا فى حاجة إلى هذه الحواس لمعرفة كنه العالم الذى نعيش فيه أو معرفة شيء عن العوالم البعيدة عنا ، فإنها لا تكفى بذاتها للقيام بشتى هذه المعارف ، وأن هناك من العلوم عامة والعلوم الطبيعية خاصة سبيلاً نستطيع به أن

(١) نشرنا هذه الأبحاث في « الجرلاند بتراج زير جيوفيزيقا » التى تصدر فى ميونيخ ، ويجد الذين يهتمون بهذه المباحث الطبيعية بعض النتائج العلمية والعملية التى توصلنا إليها فى العدد ٥٢ من ص ٣٣٤ إلى ٣٤٣ سنة ١٩٣٨ كما يجد أبحاثنا هذه فى أعداد أخرى من الجرلاند وفى المجلة الفلسفية الانجليزية Phil. mag. العدد ٤٥٧ مجموعة ٢٦ ص ٤٠٣ بتاريخ أكتوبر ١٩٣٨ Gerlands Beiträge Zur Geophysik, vol. 52, p. 334 — 343, 1938 Akademische Verlagsgesellschaft m. b. H. in Leipzig.

نُـعدّل في مقدرة هذه الحواس ، فتصبح بما نضيفه إليها من أجهزة طبيعية أكثر استطاعة على استطلاع حقائق الوجود ، وأعظم شأناً في معرفة أسرار الكون

ثمة مسألتان نود أن يتأملهما القارئ : الأولى أن الحواس في ذاتها أجهزة طبيعية يمكن بذكاء الإنسان أن تمتد كما ذكرنا فتصبح أقوى على المعرفة وأقدر على الاستنباط ، والثانية أن الحواس ذاتها تختلف عند المخلوقات الحية التي نعرفها في قدرتها ومواهبها اختلافاً بيناً ؛ ومنها ما هو ليس بحاجة لهذا التحايل الذي يعمد إليه الإنسان وهذا الامتداد الذي يجعل منه مخلوقاً أقوى من طبيعته ، وعن المسألة الأولى ذكرنا أننا لسنا في حاجة إلى حفر بئر عميقة لنعرف مقدار مستوى الماء أو البترول تحت سطح الأرض ، وعن الثانية نذكر القارئ بمثالين طالما سمعهما وقد لا يكون أعارهما الالتفاتة التي نرجوها الآن

الأول : كلنا سمع بالكلب « هول » الذي استطاع البوليس المصري بعد تدريبه أن يجعله قادراً على أن يتعرف الجناة من آثارهم ، وهو حيوان لا يخطئ عادة في القيام بهذه المهمة ، مهما كان الأثر ضعيفاً ، ما لم تمر مدة كافية بين حدوث الأثر وبين إحضاره

وإني أقص على القارئ حادثة وقعت لي شخصياً مع الكلب « هول » ؛ فقد أردت بتجربة بسيطة أن أتعرّف مدى قدرته على معرفة صاحب الأثر ، فأخرجت « البيبة » التي أدخن عادة بها ، ولمست بها الحائط بعيداً عن الكلب وبحضور جمهور كبير من الناس ، بحيث لم يشاهدني عند لمس الحائط بطرف هذه « البيبة » ، بعد ذلك ، ودون أن يراني ، أعطيت « البيبة » إلى أحد الأشخاص العديدين الذين حضروا هذه التجربة ، ولم يخفها في جيبه ، بعد ذلك وجه « الصول » المكلف بتدريب الكلب هذا الحيوان نحو الأثر ، وتركه يشم الموضع من الحائط الذي لمسته « البيبة » ، ولم يمض بضع دقائق حتى سعى الكلب إليّ يتعرّفني رغم الازدحام ، ولم يَسْعَ إلى صاحبنا حامل « البيبة » ، ذلك أن في هذه « البيبة » آثاري لا آثار من حملها أخيراً في جيبه ، وذلك أن في « البيبة » شيئاً مني يشعر به الكلب ، ولا تستطيع حواسنا الضعيفة أن يكون لها هذه القدرة من الشعور

الثاني : كلنا سمعنا بالحمام الزاجل ، إننا نستطيع أن نأخذ واحداً من هذا الطير العجيب من قفص مقفل ، لا يرى منه ما هو حوله ، ونسافر به من مكمنه الأصلي إلى بلدة بعيدة عن البرج الذي تعوّده ، ويصح أن تبتعد هذه البلدة بضع عشرات الكيلومترات عن برجه الأصلي ؛ ومع ذلك لو أننا تركنا ذلك الطائر حراً بعد ذلك السجن وذلك الابتعاد لعاد أدراجه إلى حيث موطنه الأصلي ؛ ويمكن أن نستدل من الحساب على أنه يعود في وقت يتفق مع السرعة المعروفة عن طيرانه ، وبعبارة أوضح يعود الطائر إلى مكانه الأول ، دون إجراء بحث جدّي عن هذا المكان ، أو إضاعة وقت في سبيل العثور عليه غير الوقت اللازم للقيام بهذه الرحلة الطويلة

ترى ما هي تلك الصلة الموجودة بين الطائر وبين المكان الذي اعتاد أن يعيش فيه ؟ ترى هل هذه المقدرة على العودة ترجع إلى تركيب خاص في حواسه ، أو إلى أسباب طبيعية أو كهربائية تربطه بهذا المكان بالذات ، ولا نزال نجهلها ؟ . كل هذا حدس وتخمين ، وليس المجال هنا لندخل في تفصيلات هذه المسألة ، وليس المجال لنردد للقارئ بعض الآراء التي استعرضها لنا مسيو « بيلان Belin » ، مخترع البيلانوجرام ، أو جهاز نقل الصور باللاسلكي ، عند زيارته معي لأحد أبراج هذا الحمام في ضَيْعَة قضينا فيها يوماً من أيام مارس سنة ١٩٣٨ في ضواحي القاهرة

وإنما أريد أن أخرج من هذا بشيء واحد ، ذلك أن للكلب هول وللحمام الزاجل ولغيرهما من المخلوقات التي نعرفها والتي لا نعرفها مقدرة تفوق مقدرتنا في تعرف بعض المسائل الخاصة بالكون الذي يحيط بنا أو الذي نحن جزء منه

ولعل القارئ يتفق معنا الآن على مسألتين يصح أن يتذكرهما

الأولى : هي ضعف حواسنا ، واستطاعتنا أحياناً اللجوء إلى امتداد عملها بما نضيفه إليها بذكائنا من أجهزة طبيعية تصبح متممة لهذه الحواس . والثانية اختلاف هذه الحواس في القدرة اختلافاً كبيراً عند الكائنات الحية

نعود مع القارئ بعد هذه المرحلة التي ذكرناها إلى ذلك المخلوق الذي تكونت عنده حاسة النظر بحيث يرى الأشياء المجسمة بطولها وبعرضها ولا يستطيع أن يميّز منها ارتفاعها ، وهو المخلوق الذي قلنا عنه في مقال سابق[1] إنه يرى الأشياء

(١) الرسالة مقال « حرب ونضال — تأملات في مجاهل الكون » العدد (٣٦١ — ٣ يونيو سنة ١٩٤٠) ص (٩٤٧ — ٩٤٩)



حركة النشر في دمشق – عتب وبيان

حضرت مجلساً فيه جماعة من المؤلفين والناشرين ، فكان من حديثهم أن دمشق ضائعة بين مصر ولبنان ؛ فلا هي ترتضى مذهب لبنان في الأدب ، ولا مصر تلقى لها بالاً وتحفل بها ، وساقوا على ذلك أمثلة كتباً كثيرة أهديت إلى المجلات المصرية وإلى كبار نقاد مصر ، فأهمل أكثرها فما كتب عنه حرف واحد ، وكتب عن بعضها ما لا يكفى ولا يفى ؛ فرأيت أن أذكر لقراء الرسالة بعض هذه الكتب ليطلع عليها من يهتم بحركة النشر في دمشق ، ويعلم أصحابها أن العرف لا يذهب بين الله والناس ، وليكون ذلك عتاباً لإخواننا نقدة الأدب في مصر وذكرى

فمنها (سيد قريش) للأستاذ معروف الأرناؤط ؛ وهى من أجل ما أخرج أدباء القصة العربية في زماننا . ومنها روايته الأخرى (عمر بن الخطاب) ، فإنهما على انتشارهما في الشام والعراق ودخولهما كل منزل ما كتب عنهما في مصر ولا تعرض لهما النقاد . ومنها (المتنبى) و (الجاحظ) للأستاذ شفيق جبرى ومنها الكتاب القيم (جولة أثرية في سورية الشمالية) للأستاذ وصفى زكريا ، حتى أن منها كتاب (الإسلام والحضارة) للأستاذ الكبير كرد على ، لم أقرأ لناقد من النقاد المعروفين شيئاً عنه ولا عن كتابه الآخر (أمراء البيان) . ومنها (سيرة أحمد بن طولون) للبلوى ، وهو كتاب جليل نشره الأستاذ كرد على وعلق عليه وقدم له ، ومنها (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة في (١٦٦٨) صفحة ، جمع فيه من تراجم النساء ما لم يجمعه كتاب قبله ، ومنها كتب أساتذة الجامعة ، ولا سيما أساتذة كلية الطب ، الذين قاموا بأعظم عمل يمكن أن يقوم به أمثالهم لخدمة اللغة ، فوضعوا المصطلحات العربية لكافة الأمراض وما يتصل بها ، والأدوية وأعضاء الجسم ، ومن كتبهم (فن الجراثيم) للطبيب اللغوى الأديب الدكتور حمدى الخياط في (١٨٦٠) صفحة معها لوحات فنية كثيرة ، و (صحة الأسرة) له

في صور تختلف عن الصور التي تراها عليها ، فهو يرى من على مركبة الترام مستطيلاً ، ويرى الكمسارى والسائق دائرتين إحداهما ثابتة والأخرى متحركة على حافة هذا المستطيل ويرى الراكبين دوائر متراصة في صفوف متوازية

هنا نذكر للقارئ شيئاً ذكرناه من قبل ، ذلك أننا في حاجة إلى ذكر هذا المخلوق العجيب لكى نشرح موضوعاً يتراءى لذهننا ويجول بخاطرنا ، موضوعاً كان استعراضنا لمظاهر الإشعاع سبباً لالتباعه في الذهن واقترابه في الفكر ؛ وقد وجدنا ونحن نخاطب القارئ أننا في حاجة قبل المضى في هذا الموضوع إلى الرجوع رويداً إلى معرفتنا لحواسنا وفهمنا لقدرتها ، وإلى ذكر ارتباط بينها وبين ما يستنبطه الإنسان كل يوم من أجهزة طبيعية دقيقة

وسيرى القارئ ، أن بين الإنسان الحاد الذكاء والكلب هول العجيب ، والحمام الزاجل ، وهذا المخلوق الذى يرى من الكمسارى دائرة تنتقل ، وبين ما نريد أن نتخيله أو نفترض وجوده من مخلوقات على الكواكب السيارة (سواء أكانت هذه المخلوقات موجودة على الكواكب التي تدور حول شمسنا أم كانت حول غيرها من الشموس) نوعاً من الارتباط ، نود أن نتبينه عند ما نجيز لأنفسنا التحدث عن مخلوقات غير تلك التي عهدناها على الأرض

وما مقالنا السابق أو مقال اليوم إلا نوع من الداعبة العلمية السائغة ، كانت النفوس في حاجة هذه الأيام إليها ، وذلك للترفيه بعض الشيء عن القارئ إزاء ما يحدث في العالم من تغييرات سريعة ، وما هو واقع اليوم من تطورات ربما كانت أكبر ما عرفناه في التاريخ ؛ تلك التطورات التي تجرى اليوم في أوربا ، والتي يحتمل أن يكون لها أثر على حياتنا في مصر

وإذا كنا قصدنا هذا النوع من الترفيه أو الراحة مع القارئ في مقالين متتابعين ، وإذا كان هذا سيظل رائدنا في المقال القادم أيضاً ، فإنما ذلك لكى ننشط إلى عمل ، أكثر إلى الجد منه إلى الداعبة ؛ عند ذلك نعود إلى حظيرة العلم الذى لا يعرف في البحث غير التقرب من حقيقة الكون

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

فى (٤٠٠) صفحة ، و (الصحة العامة والاجتماعية) ، (١٠٠٠) صفحة ، وكتاب (فلسفة الطب) للدكتور حسنى سبح عميد كلية الطب ، وهو سبعة أجزاء صدر منها ثلاثة فى (٢٧٠٤) صفحة ، وله كتب أخرى ، و (علم الأمراض الجراحية) للدكتور مرشد خاطر فى نحو (٤٠٠٠) صفحة ، ومنها كتب أساتذة الحقوق ، فارس بك الخورى ، وله (علم المالية) و (شرح أصول المحاكمات الحقوقية) ، وسعيد محاسن بك نقيب المحامين ، وله الشرح القيم على مجلة الأحكام العدلية ، وله (القانون المدنى الإسلامى) ، وشاكر بك الحنبلى ، وله (الحقوق الأساسية) والمباحث القيمة فى الحقوق الإدارية

ومن الكتب التى نشرت فى دمشق (فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى) و (ديوان الكاظمى) و (أصول التفسير لابن تيمية) و (بحر العوام لابن الحنبلى) و (البخلاء للجاحظ) و (النقد من الضلال للغزالى) و (إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى) و (الإجابة للزركشى) و (الفاضلة لابن حزم) و (طوق الحمامة له أيضاً) و (روضة المحبين لابن القيم) وهما كتابان فى الحب لإمامين من أعظم أئمة الدين و (فتاوى الإمام النووى) و (الرسالة المستطرفة للعلامة جعفر الكتانى) فى تاريخ علم الحديث و (الصبح المنبي للبديعى) و (ذكرى الشاعرين) و (تهذيب تاريخ ابن عساكر) و (عبد الله بن المقفع للأستاذ الجندى) و (الجاحظ) و (ابن العميد) و (الصاحب) و (ابن المقفع) للأستاذ خليل مردم بك ، و (امرؤ القيس) للأستاذ الجندى و (أبو بكر الصديق) و (عمر بن الخطاب) للطنطاوى ، و (خالد بن الوليد) لكحالة ، و (أسواق العرب) للأفغانى .

وأنا أظن أن هذا كله ، وهذا بعض ما نشر فى دمشق لم يحفل به ، ولا يمسه ناقد من كبار نقاد مصر ، أفلا يحق لنا أن نعتب ، وأن نذكر ، وأن نرجو ، وأن ننتظر ؟

على الطنطاوى

فتوى لجنة الافتاء بالأزهر فى فائدة الأربعاء

لا أنكر أن فتوى لجنة الإفتاء فى هذه الفائدة خطوة موفقة فى سبيل الإصلاح الدينى ، والقضاء على ناحية من نواحى الفساد فى البلاد ، ولكنى آخذ على اللجنة أنها اهتمت فى هذه الفائدة بناحية الشكل ، ولم تهتم بالأصل الذى تقوم عليه من جواز التوجه إلى أصحاب الأضرحة فى قضاء الحاجات ، بقطع النظر عما يلجأ إليه فى ذلك من تحديد زمان أو مكان أو كيفية للعبادة لا أصل له وقد أفتى العالم الكبير فى هذه الفائدة بجواز التوجه إلى أصحاب الأضرحة فى قضاء الحاجات ، ولا شك أن فتوى لجنة الإفتاء جاءت رداً على فتواه ، فلم يكن من اللائق مع هذا أن تهتم فتواها بما اهتمت به ، ولا تعطينا حكماً صريحاً فى ذلك الأصل الذى قامت عليه تلك الفائدة ، فهل يليق أن يبقى عامة المسلمين على ما هم عليه الآن من الاعتقاد فى تأثير أصحاب هذه الأضرحة فى أمور دنياهم ، وتجاهل الأسباب المشروعة التى سنها الله تعالى ، وهل قامت هذه الأضرحة على أساس صحيح ، وهل قيست ولاية أصحابها بمقياس الولاية فى الشرع ؟ ورأيى أنا أن كل هذا لا يصح أن يبقى بيننا ، وأنه يجب أن نتخلص منه ، ولنا فيما فعلته بعض الحكومات الإسلامية أحسن أسوة

(عالم)

١ — حول آية الطعام الطعام

اطلعت على ما كتب فى « الرسالة الغراء » فى هذا البحث ، فأرجو أن يذكر الأستاذ محمود محمد سويلم أن (خصوص السبب لا ينافى العموم) فسيدنا على رضى الله عنه داخل فى هذا العموم دخولاً أولياً بالنظر إلى أنه سبب نزول الآية

وأول من ضرب على هذا الوتر بتوسع هو الحافظ بن تيمية فى كتابه (المنهاج) وكون السورة مكية ليس بأمر مقطوع به

٢ — نيف

كنت أرى بعض الكتاب الناشئين يستعملون كلمة « نيف » قبل العدد ، ثم رأيت الأستاذين العقاد وكرد على يستعملانها كذلك فوجب التنبيه على صحة استعمالها :

قال فى القاموس المحيط (والنيف ككيس : الزيادة ، يقال عشرة ونيف) ، وقال فى المصباح المنير (ولا يقال نيف إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومائة ونيف وألف ونيف) ، وكذلك فى كتب اللغة الأخرى

عفيفى على موسى



من أثر الوعيـــد

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

ركب الضابطان: «كامبل» و «هاريس» جواديهما واتجها إلى الغابة، وكان الفصل فصل الربيع، والجو دافئاً معطراً، وكان يلذ لهما إمتاع النظر فى ألوان الطبيعة والسكون فى الغابة البعيدة عن جلبة الحياة وضوضائها. ولما ابتعدا عن المدينة رأيا أبنيتها الضخمة كأنها قطع من الأحجار الملوّنة، وبجانبها نهر الرين، وقد انعكست عليه أشعة الشمس، فبدا كأنه خط من النور

وأشعل كل من الصديقين لفافة، وألقى «كامبل» عود الثقاب وراقبه وهو يسقط على الأرض، فرآه قد وقع على كثيب من الحشائش الجافة المتروكة فى الصيف الماضى

وسرعان ما اشتعلت هذه الحشائش، وكان الرجل طيب القلب، فلم يترك النار تلتهم الغابة، فنزل هو وصاحبه فأطفآها. ورأيا فى هـذه الأثناء وراء الكثيب المحترق طريقاً ضيقاً بين الأشجار، فقال كامبل:

— ألا ترى هذا الطريق؟ أتعرف إلى أين يؤدى؟ دعنى أمر منه ...

فأجابه:

— بل تعال نركب، لأن الجوادين يتصببان عرقاً، وقد يضربهما الوقوف الآن

ولكن «كامبل» أصر على الذهاب وقال: إنه سيعود سريعاً. ثم اختفى بين الأشجار التى وراء الكثيب، وامتطى هاريس جواده، وظل يدخن لفافته، منتظراً عودة «كامبل»

وكان كامبل كثير التطلع إلى شئون الغير يحب أن يعرف كل شىء ويتدخل فى كل أمر. وبعد دقائق سمع صوت صاحبه يناديه، وكان الصوت ضعيفاً، فنزل عن جواده وجرى نحوه بعد أن ربط الجوادين. ولم يزل يجرى حتى رأى كهفاً متسعاً، وسمع صوت كامبل آتياً منه، فدخل الكهف محترساً وهو يشم رائحة غريبة، وقال كامبل: «هل تشم شيئاً؟ إننى أشم رائحة ميت؟ هل معك كبريت؟ إننى لما جئت تذكرت أن ما معى منه قد نفد»

فقال هاريس: «ليس معى غير عيدان قليلة»، ثم أخرج علبة الثقاب وقال: «ليس فيها غير عودين فخذهما»

أشعل كامبل أول عود فلم يحترق، وأشعل الثانى فرأيا على نوره الضئيل كتلة سوداء لم يتبيناها، وتصاعدت من جهتها رائحة كريهة، ثم انطفأ العود وأظلم المكان، فلم يعد كل منهما يستطيع رؤية الآخر

فخرجا من الكهف متجهين إلى مربط الجوادين، ولم يكد هاريس يرفع رجله ليضعها فى الركاب حتى صاح كامبل: «أنظر إلى حذائك!»

فنظر وقال: «هـذا دم، ولست أعرف ما الذى كان فى الكهف!»

وقال كامبل: هل تتذكر (إدى ماك جارى) الذى كان ضابطاً معنا واختفى فى الشهر الماضى؟»

فقال هاريس: «نعم أذكره، وكان قبل اختفائه قد تخاصم مع أناس فى مقهى، وقيل إنهم تضاربوا ثم اختفى، فهل تظن أنه بهذا الكهف؟»

قال كامبل: «لست أعرف»؛ ثم مشى الصديقان فى صمت. وبعد مدة قال كامبل: «لا تقل شيئاً يا هاريس حتى نتبين الحقيقة، وسنتقابل غداً فأخبرك بنتيجة بحثى»

وكان كامبل يتردد على حانوت رجل خمار اسمه فرانز شافر، وقد اشتهر هذا الرجل بمعرفته كل مكان فى المدينة وأكثر من فيها من الناس. وكان بينه وبين كامبل صداقة نشأت منـذ جاء إلى هذه المدينة فى أول الحرب. وكان هاريس يعرفه أيضاً ويتردد على حانوته

في هذه اللحظة ذهب هاريس إلى الحان وأخذ معه مقداراً من التبغ فأهداه إلى الخمار الألماني الذي أرقت عيناه ، وقام إلى زجاجة من أجود النبيذ فقدمها إلى الضابط وأخذ يصف شوقه إلى اليوم الذي تعود فيه ألمانيا إلى مكانتها الأولى بين الشعوب ويسود فيه الإخاء بينها جميعاً ، وقال إن الحرب الأخيرة كانت حرباً بشعة أثارتها العداوة من الجانبين ولكنها انتهت بحمد الله فانتهت معها كل الحروب . ثم سأل الضابط : أليس من رأيه أن الحروب لن تعود ؟

فهز هاريس رأسه . وكان في هذه اللحظة يفكر في الكهف ويغلب على ظنه أن كاميل مخطئ فيما توهمه . لأن ماك جاري وإن كان ضيق الخلق سريع الغضب ، فهو لا يترك نفسه لمن يقوده إلى كهف فيقتله فيه

واستمر الخمار يتدرج في حديثه السياسي إلى أحاديث مختلفة عن أشخاص يعرفهم هاريس ، فتردد الأخير في إخباره بأمر الكهف . وبعد قليل قال :

« هل تعرف الطريق إلى جبل « برج الزر » يا هر شافر ؟ »

فقال الخمار : « كيف لا أعرفه وأنا كثيراً ما أذهب منه وصهري مقيم في « نيدورف » عند نهايته »

ثم تنهد وشرع في وصفه ولكن هاريس قاطعه بقوله : « وهل تعرف الطريق الضيق القريب من نهاية الغابة ؟ »

فحملق الألماني في وجه الضابط وراعه منه رنة غريبة في صوته وتغير في لهجته، فقال الخمار : « لماذا يا سيدى الهر ؟ لماذا يا سيدى الضابط ؟ »

ولكن هاريس استمر يسأله بلهجة المحققين : « وهل تعرف المكان الذي على بعد مائة متر على يمين هذا الطريق ؟ »

فلم يجبه الخمار ولكنه ظل واجماً فاتحاً فمه لاعقاً شفتيه بحالة عصبية ، وكان هاريس في هذه اللحظة يتذكر ضابطاً عظيماً استجوب أمامه أحد الحراس فشعر بالسرور لأن مهارته الآن في التحقيق لم تكن أقل من مهارة ذلك الضابط الكبير بدليل ما ظهر من التأثر على وجه الخمار

ولقد كان الإجرام بادياً على الخمار في هذه الساعة ، وكانت عيناه تدوران كأنما تبحثان عن منفذ تتركان منه المحاجر وكانت خياشيمه تنتفخ والعرق يتندى من جبينه . ثم قال بعد ارتباك شديد : « لست أعرف هذا المكان »

فقال هاريس وهو يدق على المنضدة ليؤكد سؤاله : « ولماذا لم تقل ذلك من أول الأمر ؟ »

وكان الخمار يحارب نفسه ليحملها على كتمان العواطف ، وتظاهر بالغضب على كرامته تظاهراً جعل شكله مضحكاً وقال : « لا تؤاخذني يا هر إذا احتددت فإني لم أنم جيداً ليلة الأمس ، وأنت قد غيرت معي لهجتك فاضطربت »

فقال هاريس بلهجة الساخر : « لم تنم جيداً ليلة الأمس ؟ »

قال الخمار : « نعم وقد فهمت . إنك تريد اتهامي بمعرفة شيء عن هذه المسألة ، عن هذا الكهف . ولكنني أؤكد لك أنني لا أعلم وأنا مستعد للذهاب معك إلى الغابة في عصر الغد »

ثم هدأت أعصاب الخمار وعاد إلى خديه احمرارهما ، ونظر إليه الضابط مبتسما وقال : « لا تنكر يا شافر ! لا تنكر ! فأنت تعلم الحقيقة بغير شك ، إن لم تكن شريكا فيها . وأنت تريد أن تذهب مني إلى الغابة ... هذا حسن والله يا شافر ! تريد أن تأخذني أنت وصهرك إلى الكهف فتقتلني كما قتلت « إدى ماك جارى »

ثم تغيرت لهجته من الهدوء إلى الحدة وقال : « سأمهلك إلى الغد لتعترف وإن تركت منزلك الليلة فسيراك رجالي، وإن لم تعترف غداً فإنك ستعتقل وتقدم للمحاكمة العسكرية ، ومن يدرى ؟ لعله يحكم عليك بالإعدام »

فارتمش الخمار وتصور منظر المحاكمة والإعدام ورأى القبر مفتوحاً أمام عينيه، وتذكر زوجته وأولاده وما يصيبهم من البؤس بعد موته ، وفتح فمه وظل يقول : « لست أعرف ! لست أعرف ! »

وتركه هاريس على هذه الحالة وذهب وهو يعتقد أنه وفق إلى اكتشاف جريمة، وأن جبن الخمار كان دليلاً قوياً على أنه المجرم .

وفي الصباح التالي ذهب هاريس إلى كاميل فأخبره ، وكان كاميل قد سمع خبراً لم يشأ أن يطلع صاحبه عليه حتى يلهو قليلاً ببساطته ، فأظهر له الاهتمام وقال : « هلم مع حارس إلى الخمار » .

وذهبا مع الحارس إلى الحانة فوجدوا الخمار وزوجته وأولاده

يبكون . وأعاد هاريس استجوابه ، والجمار يتنصل وهو يتوعده بأقسى العقوبات إذا لم يعترف، ويعده بتخفيف العقوبة إذا اعترف

فلما لم يجد ذلك جلس هاريس أمام المنضدة وكتب بلاغاً وسلمه للحارس وأمره بأن يذهب به إلى رئيس البوليس

عند ذلك تبادل الخمار وزوجته نظرات ثم همس فى أذنه فقال : « لا ترسل البلاغ وأنا أعترف لك »

فأخر هاريس إرسال البلاغ ، وجلس بهيئة جدية ، وصار يصغى إلى الاعتراف ، واعترف الخمار بأنه هو وصهره قتلا (أدى ماك جارى) وتركاه فى الكهف

عند ذلك ضحك كامبل ضحكة عالية وقال : « لقد قبض بالأمس على ماك جارى فى باريس »

فدهش هاريس وقال : « إذن فا الذى رأيناه فى الكهف ؟ »

فقال كامبل : « هو خنزير ميت »

ثم خرج من الحان .

عبد اللطيف النشار

الأب ...

مترجمة عن الفرنسية

بقلم الأستاذ محمد محمد حمدى

هو كاتب فى وزارة المعارف ومنزله فى إحدى ضواحى باريس ، ولذلك كان يركب عربة « الأمنوبيس » فى صباح كل يوم من منزله إلى الوزارة ؛ وكان يجلس دائماً أمام فتاة يشعر نحوها بعاطفة الحب

وكانت الفتاة تذهب إلى المحل الذى هى عاملة به ؛ وهى سوداء العينين بيضاء الجسم ناصعة البياض كأنها تمثال من العاج . وكان يراها تقبل كل يوم من منعطف فى نفس الطريق ، وكثيراً ما كانت تجرى لتدرك العربة وهى سائرة وتتعلق بها قبل أن يقف الجوادان ، ثم تجلس فى المكان الخالى وهى تلهث من التعب وتدير لحظها فيما حولها

ومنذ رآها « فرنسوا تاسيه » أعجب بجمالها ، وكانت الفتاة وفق أمانيه ورغائبه وصورة لخيال الحسن المنطبع على قلبه فأحبها من صميمه قبل أن يتعارفا

كان لا يستطيع أن يرد بصره عنهـا ، وكانت تخجل من من نظراته وتضطرب ، وقد أدرك ذلك فحاول أن يغض من بصره ولكنه على غير إرادته كان يعود بين لحظة وأخرى فينظر إليها . وبعد أيام قليلة عرف كل منهما الآخر وإن لم يتكلما . وكان يترك مكانه ويقف خارج العربة إن أقبلت الفتاة والعربة مزدحمة . وكانت الفتاة إذ ذاك تحييه وهى مرخية أهدابها حياء من نظراته ولكنها مع ذلك لم تكن تغضب من هذه النظرات

وأخيراً تحادثا ونشأت بينهما مودة سريعة ، وكان يقضى أمامها نصف ساعة فى كل يوم . ولكن هذه الأنصاف من الساعات كانت فتنة العمر . وكان يفكر فيها بقية يومه ويرى طيفها ماثلاً أمام عينيه ، لأن حبها كان مستحوذاً على خياله متسلطاً على قلبه باعثاً فى نفسه تلك السعادة الجنونية التى يخال صاحبها أنه فى عالم غير عالمنا الإنسانى

وصارت تصافحه كل يوم فيحتفظ بالإحساس الذى تثيره هذه اللمسة الرقيقة من أصابعها الصغيرة فيظل ناعماً بإحساسه هذا إلى الصباح التالى وكان يقضى يومه وليلته فى انتظار الساعة التى يركب فيها الأمنوبيس ، وما كان شىء أبغض إليه من أيام الآحاد لأنه لا يستطيع فيها أن يراها . وكانت الفتاة تحبه بغير شك . وفى يوم سبت من أيام الربيع وعدته بأن تتمشى معه فى اليوم التالى بمطعم فى ضاحية أخرى

***

التقيا فى صباح الأحد عند المحطة ففاجأته بقولها : « أريد أن أكلمك قبل أن نذهب ، لقد بقى عشرون دقيقة على سفر القطار وهى كافية لما أريد أن أقوله »

وكانت ترتعش وهى تقول ذلك ، وتعلقت بذراعه وقد اصفر لونها ونظرت إلى الأرض واستمرت تقول : « أريد ألا تنخدع بى ، ولن أذهب معك حتى تعدنى وتقسم بأن تكون شريفاً معى »

ثم اصطبغ وجهها احمراراً ولم ترد ، ولم يعرف بماذا يجيب

لأنه كان مضطرباً رغم شعوره بالسعادة فى هذا الحين ، وربما كان يتمنى من صميم فؤاده أن يكون كما ترجو ، ولقد كان يعرف أن حبه لها سيقل إن وجد منها خفة وطيشاً ولكنه كان أنانياً كسائر الرجال فى الحب

ولما لم يقل شيئاً عادت الفتاة إلى الكلام بصوت مضطرب وعيناها مغرورقتان بالدموع وقالت : « إذا لم تعدنى باحترامى فسأعود إلى المنزل »

فضغط على ذراعها برفق وأجاب : « أعدك بأن أسير على ما تريدين »

فزال اضطرابها وقالت وهى تبتسم : « هل تقسم على ذلك ؟ »

فقال : « أقسمت »

قالت : « تعال إذن نشتر التذاكر »

ثم ركبا القطار ولم يتكلما إلا قليلاً لأن العربة كانت مزدحمة فلما وصلا إلى الضاحية مشت معه إلى شاطئ السين ، وأطلت على مائه المنعكسة عليه أشعة الشمس ، وقالت : « ما أراك تظنني إلا حمقاء » . قال : « لماذا ؟ » . فقالت : « لأننى جئت معك وحدى إلى هذا المكان »

قال : « كلا . كلا . بل هذا شىء طبيعى ! »

فقالت : « إنه ليس طبيعياً بالنسبة لى ، ولكنه من الملل أن تتشابه الأيام والأسابيع والشهور ، فإننى أعيش مع أمى معيشة لا تجديد فيها ولا تغيير . وهى عابسة دائماً لكثرة ما تعانيه من السأم ، وأنا أحاول التغلب على نفسى وأضحك لأقل مناسبة . ولكن لا فائدة من ذلك . وقد أخطأت إذ جئت وما كان تخلفى ليحزنك »

عندئذ قبلها فرانسوا قبلة حارة ، فغضبت فجأة وصاحت : « ما هذا يا مسيو فرانسوا ! أبعد أن أقسمت ؟ »

ثم مشيا إلى المطعم وهو بناء صغير منخفض عن الأرض ، أمامه أربع شجرات . وبعد أن تمشيا فى صمت وشربا القهوة عادت الفتاة إلى المرح ، ومشت معه على شاطئ السين ، وسألها عن اسمها فقالت : « لوسى » فأعاد اسمها « لوسى » ولم يقل شيئاً . وأخذت الفتاة تجمع الأقحوان النابت على الشاطئ ، وظل يغنى فى طرب كالنشوان ، وهما يمشيان تحت الكروم حتى ابتعدا نحو ميلين عن المدينة ، ولاح لهما بساط سندسى من الخضرة ، فأشار إليه ، وقالت : « ما أبهجه ! » ثم مشيا نحوه فجلسا على العشب ، وكان يتضوع حولهما عبير الأزهار التى أكسبها شعاع الشمس ألواناً مختلفة

وأغمضت عينيها وهى لا تعلم شيئاً غير تلك القبلة ولا تفكر فى شىء آخر ، وهى شاردة اللب مهتاجة الشعور من الرأس إلى القدم . ولكن سرعان ما شعرت بالخطب وبكت من الحزن وهى تستر بيديها وجهها ، وحاول أن يعزيها وهى تأبى إلا العودة فى الحال وصار يستمهلها وهى تأبى ، فلما نزلا من المحطة فى باريس تركته بغير أن تحييه .

* * *

ولما رآها فى الأمنوبيس فى الصباح التالى خال أنها أشد نحولاً وقالت : أريد أن أكلمك ، فتعال ننزل . ونزلا ، فقالت له : يجب أن نفترق ، فما أستطيع رؤيتك بعد الذى حدث

فقال : لماذا ؟

أجابت : لأنى لا أريد ، وقد أصبحت خاطئة وما أحب أن أعود

ولكنه توسل إليها ، وقد اشتدت به الرغبة فى امتلاكها . فقالت : كلا . كلا . فلا أستطيع ...

فألح ووعدها بالزواج ، ولكنها رفضت وتركته ، ومضى أسبوع لم يرها فيه ، ولم يكن يعرف عنوانها . وفى اليوم التاسع دق باب غرفته ، ففتحه ورآها تلقى بنفسها بين ذراعيه ، ولم تعد تقاومه . ومضت ثلاثة أشهر ، وهى تعيش معه معيشة الخليلة ، وبدأ يسأم منها . فلما أخبرته أنها حامل ، عزم على هجرها وقطع صلاته معها ، ولكنه لم يعرف الوسيلة إلى ذلك ، حتى جاء فى ليلة من الليالى ، فترك ذلك المسكن ، ولم يخبرها بمسكنه الجديد . ولقد كان وقع هذا شديداً على نفس الفتاة ، ولكنها ذهبت إلى أمها باكية وركعت عند قدميها واعترفت بالأمر كله . وبعد أشهر وضعت طفلاً

* * *

مضت سنوات وأصبح فرانسوا كهلاً ولم يتغير شىء من

نظام حياته بل ظل على المعيشة المملة بلا أمل ولا أمنية ؛ وكان كل يوم يمشي من طريق واحد ، فيجلس على مكتب واحد ويؤدي عمله الواحد . وفي أول كل شهر يتقاضى مائة من الفرنكات يستعين بها على شيخوخته . وفي أيام الآحاد يذهب إلى « الشانزليزيه » ليراقب المتنزهين فيها

وفي يوم من هذه الأيام بهت لما رأى سيدة تتنزه ومعها صبيان ، أحدهما يبلغ العاشرة والثانية تبلغ الرابعة . وكانت هذه السيدة هي صاحبته ، فمشى نحو مائة متر ثم ارتمى خائر القوى على كرسي ، ولم تكن السيدة قد لاحظته . وبعد قليل عاد لكي يراها مرة أخرى ، وكانت قد جلست والصبي واقف بجانبها في سكون والطفلة تجري وتلعب

ونظر إليها فلم يشك في أنها هي وكانت نظراتها نظرات حزن وثيابها بسيطة وكان يراها عن بعد لأنه لا يجرؤ على الدنو منها ولكن نظره قد وقع على الصبي فارتعش وعرف أنه ابنه لأنه يشبه صورته وهو في ذلك العمر . ثم اختفى وراء شجرة حتى تقوم فيتبعها إلى منزلها

ولم ينم في تلك الليلة وكاد يجن من التفكير في ابنه وسأل أهل الحي عنها فقيل له إن أحد جيرانها قد أخذته الشفقة عليها بعد ذلك الحادث فتزوجها وربى ابنها ، ثم ولدت له البنت

صار فرانسوا يتردد على الحديقة كل يوم من أيام الآحاد . وكان في كل مرة يكاد يجن شوقاً إلى عناق ابنه وتقبيله والعودة به ، ومن ذلك العهد صار يتألم من الوحدة وأحس إحساساً مضاعفاً بالغيرة والندم والحاجة إلى النسل . ثم عزم على خطة لا يقدم عليها غير اليائس ، فذهب إليها ووقف أمامها وقال وشفتاه ترتمشان : « ألا تعرفينني ؟ » فنظرت إليه وصاحت صيحة رعب وفزع ، ثم أخذت ابنها وخرجت من أمامه ، وعاد هو إلى المنزل باكياً ، ومضت أشهر لا يراها ، وكان ألمه يزداد يوماً فيوماً حتى تمنى الموت على أن يقبّل ابنه قبل أن يموت ، وكتب إليها فلم تجبه حتى بلغ ما كتبه عشرين خطاباً . ثم بدا له في حالة من اليأس أن يكتب إلى زوجها واستعد لأن يكون الجواب رصاصة من مسدس ، وكان هكذا خطابه : « سيدي ! لا شك أن اسمي يزعجك ولكنني في أشد البؤس والتعاسة ، ولذلك أجرؤ على استئذانك في مقابلة قصيرة »

وفي اليوم التالي وصل إليه الرد وهو هكذا : « سأنتظرك غداً في الساعة الخامسة »

* * *

ذهب إليه وهو خافق القلب حتى اضطر إلى الوقوف في السلم عدة مرات . ثم فتح له الباب ودخل حجرة الاستقبال ، فوجد الزوج جالساً في صدرها ، وهو طويل القامة عريض المنكبين ، وقد بدا عليه أنه يتوقع خطباً ، وأشار الزوج له بالجلوس فجلس وقال : « لعلك لا تعرفني ولم تسمع اسمي ... »

فقاطعه الزوج قائلاً : « بل عرفت كل شيء من زوجتي »

قال فرانسوا : « أنا يا سيدي لم آت إلا لأقول لك إنني أسفت وندمت وحزنت ولا أطلب غير أن أقبل ابني ... »

فدق الزوج الجرس وأمر بإحضار الصبي (لويس) فدخل الغرفة صبي في العاشرة مندفعاً لرؤية الذي اعتقد أنه أبوه فوجد معه رجلاً أجنبياً فقبله الزوج ثم قال له : « إذهب فقبل هذه اليد »

فذهب الصبي ونظر إلى الضيف وكاد يغمى على فرانسوا .

وقام الزوج فأطل من النافذة . وفي هذه الأثناء سقطت القبعة من يد الضيف فتناولها الصبي وأعادها إليه .

وعند ذلك أخذه بين ذراعيه وبدأ يقبله فوق خديه وعينيه وعلى جبينه وفمه وشعره ؛ فانزعج الصبي من هذه القبلات ودفع وجه الرجل بكلتا يديه ، فقام الرجل المسكين ووضع الصبي على الأرض وقال : « وداعاً ! »

ثم خرج متسللاً من الغرفة كأنه لص . محمد محمد حمدي

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾